أدب الرحلة بين المنثور والمنظوم
ديوان لويس الصا بنجي أنموذجا
دراسة وتحليل

إعداد الباحثة

رضا رمضان أحمد

أستاذ مساعد بقسم الأدب والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالمنصورة

أدب الرحلة بين المنثور والمنظوم ديوان لويس الصا بنجي أنموذجا

دراسة وتحليل

رضا رمضان أحمد

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالمنصورة، مصر.

الملخص:

مشكلة البحث :

إقامة دراسة أدبية نقدية تحليلية تقوم على بيان خصائص أدب الرحلة نثرا ونظما. متخذة من ديوان لويس الصابنجي أنموذجا تطبيقيا يتضح من خلاله الدعائم التي اعتمد عليها الأديب في وصف رحلاته عبر البلدان العربية والغربية.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في أنه يهتم بدراسة ديوان شعر النحلة للأديب لويس الصابنجي الذي لم ينل حظه من الدراسات الأدبية والنقدية كغيره من أدباء وشعراء عصره ، هذا بالإضافة إلى أن البحث يدرس أدب الرحلة في الأدب العربي ويُسلط الضوء على أعلامه قديما وحديثا ذاك الأدب الذي لم يأخذ حقه من الدراسة الأدبية ، وما زال أكثره في الأعماق ينتظر من يُنقّب عنه ويبحث في مساراته .

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى الوقوف على خصائص أدب الرحلة نظما ونثرا في ديوان لويس الصابنجي ، وبيان الأسس التي قام عليها في النثر والنظم ، وكيف

استطاع الأديب أن يصف ما شاهده في تلك البلدان من أحداث مختلفة سياسية واجتماعية وثقافية .

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة – المنثور – المنظوم – لويس الصابنجي– الأحداث – الشخصيات – السرد – القص – الوصف – المنهج الوصفي التحليلي .

The literature of the journey between the revolutionist and the system Diwan Louis Al-Sa Benji model

Study and analysis

Ahmed Reza Ramadan

Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arab Studies in Mansoura, Egypt.

Abstract:

Research problem :

Establishing a literary-critical-analytical study based on a statement of the characteristics of the travel literature, both in prose and in systems. It was taken from the Diwan of Louis Al-Sabanji as an applied model through which the pillars on which the writer relied in describing his travels through Arab and Western countries becomes clear.

research importance :

The importance of the research is that it is interested in studying the Diwan of Bee Poetry by the writer Louis Al-Sabanji, who did not get his share of literary and critical studies like other writers and poets of his time. From literary study, most of it is still in the depths, waiting for someone to search for it and search its tracks.

research aims :

The research aims to identify the characteristics of the travel literature in both systems and prose in the Diwan of Louis Al-Sabanji, and to clarify the foundations on which it was based in prose and systems, and how the writer was able to describe what he witnessed in those countries of various political, social and cultural events.

Keywords:The literature of the journey - the manthor - the system - Louis Al-Sabanji - the events - the characters - the narration - the story - the description - the descriptive-analytical method

(المقدمة)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين صاحب الأدب الرفيع والخُلق القويم ..... أما بعد

لا شك في أن هناك العديد من الصفحات الأدبية التي تضم أسماء أدباء كُثر مازال الحديث عنهم يكتنفه الغموض ، ويحتاج إلى جهد الباحثين في التنقيب عنهم ، وعن أدبهم بين سطور تلك الصفحات التي طوتها عوادي الزمن ، وسنواته المتتابعة .

وثمة حقيقة لايمكن إنكارها : أنه لاعلاقة بين قلة الدراسات النقدية التي تناولت أحد الأدباء وبين الحكم على إنتاجه الأدبي بالضعف ، وأن أدبه لا يستحق الدراسة أوالوقوف عنده ، وأن غيره ممن تناولتهم أقلام النقاد أفضل منه ، وأجود . هذا ما حدث مع الأديب " لويس الصابنجي " فلم تنصفه أقلام النقاد ، ولم يكن نتاجه الأدبي – على تنوعه – مثاراهتمامهم وعنايتهم ؛ فإذ به يطوى ذكره ، والحديث عنه وعن نتاجه الأدبي في صفحات التاريخ الأدبي ، وتمر السنوات وديوانه يوضع على أرفف المكتبات ينتظر من ينفض عنه غبار الأيام ، وتتابع السنين حتى يرى النور كغيره من شعراء عصره أمثال البارودي ، وأحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم وغيرهم من الذين لمع ذكرهم في صفحات التاريخ الأدبي ، واكتظت المكتبات بالحديث عنهم ، وعن أعمالهم الأدبية .

والجدير بالذكر أنك عندما تقرأ ديوان " لويس الصابنجي " وتتأمل ما فيه، تدرك للوهلة الأولى أنك أمام أديب أريب وعى من الفنون أكثرها ، ومن العلوم أشرفها ، ومن اللغات أشهرها ، فقد تنوعت روافد الثقافة لديه فإذا بديوانه ينطق بالفنون التي وعاها ، والعلوم التي درسها ، واللغات التي

أجادها نطقا وكتابة ، وتجد في صفحات الديوان عالما رحبا واسعا فسيحا يجول بك على بساط الريح في الأقطار العربية والغربية فتعيش حياتها ، وحياة أهلها ، ومشاكلهم وقضاياهم الاجتماعية ، بل وأجواء الطقس عندهم وتدرك أثرها على حياتهم وصحتهم ومزاجهم ، وكذا احتفالاتهم ودروب المعيشة عندهم وغير ذلك كثير .

فقد طاف صابنجي أرجاء البسيطة مابين شرق وغرب في رحلة استمرت ما يقرب من سنتين وأربعة أشهر ، فشاهد ، وعاش ، وكتب ما شاهده ورصد ما كان يجري حوله ، ودوّن رحلته تحت عنوان ديوان " شعر النحلة المنظوم في خلال الرحلة " وهوموضوع الدراسة والبحث .

جمع صابنجي في ديوانه بين محاسن النثر ، وروعة الشعر، فكان يكتب ما يريد نثرا بأسلوب سردي لا يخلو من الاستطراد في الأعم الأغلب، ثم يتبعه بالنظم الذي يتكئ فيه على الوصف والقص . **من أجل ذلك كله عنونت البحث ب** " أدب الرحلة بين المنثور والمنظوم " متخذة من ديوان لويس الصابنجي أنموذجا ، وقاعدة للبحث . وعلى الرغم من صعوبة الدراسة في هذا الموضوع ؛ لندرة المراجع التي تحدثت عن الأديب ، وعن ديوانه ، حتى أن بعض من ترجم لحياته لم يكن دقيقا في الترجمة له ، فجاءت في جزء منها مخالفة لما كتبه الأديب في ديوانه ، وما صرّح به في بعض أبياته .

ووجدت نفسي أعالج من خلال الدراسة **مجموعة من المشكلات** فرضتها طبيعة الموضوع يمكن إجمالها في الآتي :

١- البحث في حياة الأديب وطبيعة عصره .

٢- الاهتمام بدراسة أدب الرحلة ، وتطوره عبر العصور الأدبية المختلفة وخاصة في العصر الحديث .

٣- دراسة وتحليل ما كتبه الأديب خلال رحلته نثرا ثم نظما مع مراعاة اختلاف طبيعة الدراسة بين النثر، والنظم .

وكان لابد من اختيارمنهج مناسب لمعالجة تلك المشكلات ، يتم من خلاله عرض الموضوع ودراسته ، والكشف عن جوانبه المتعددة ، فرأيت أن أكثرالمناهج مناسبة للدراسة المنهج " **الوصفي التحليلي** " وقد ساعدني هذا المنهج على أن أبني دراستي على ثلاثة محاور من شأنها أن تبرز الموضوع في إطار تحليلي وصفي نقدي ، فقد قمت " **بالتفسير** " أو التفكيك بضم المؤتلف وفصل المختلف ، فجمعت ما كتبه الأديب من مشاهداته الاجتماعية منفصلا عما كتبه من مشاهداته الثقافية ، وبالمثل كانت الطبيعية والسياسية والتزمت بما سارعليه الأديب في ديوانه بعرض المنثور أولا ثم المنظوم .

وقد صاحب ذلك **نقدي** للنصوص النثرية والشعرية ، فما وجدته جيدا نبهت عليه مع ذكر السبب في جودته ، وما رأيته رديئا وقفت عنده وبينت ذلك في حينه ، ثم قمت **بالاستنباط** الذي أدى بدوره إلى نتائج البحث ، والثمرة المرجوة من الدراسة .

والتزمت في **حدود الدراسة** بالحد الموضوعي ، وذلك من خلال ما كتبه الأديب من قطع نثرية أو منظومات شعرية ، كما التزمت بالحد الزمني وأقصد به الفترة التي كُتبت فيها تلك القطع النثرية أو المنظومات الشعرية ، وكذلك الحد المكاني ، وأقصد به البلدان التي زارها الأديب خلال رحلته .

أما عن **الدراسات السابقة** فلم أجد – فيما بحثت – موضوعا يتناول بالبحث والدرس والتحليل ديوان صابونجي سوى تلك النظرات العابرة التي ترجمت حياة الأديب في عجالة خاطفة ولمحة سريعة . فاتخذت من كتب النقد الأدبي التي تناولت أدب الرحلة والسرد ، والقص سبيلا لإتمام الدراسة . ومنها على سبيل المثال :

أ- أدب الرحلة في التراث العربي – د. فؤاد قنديل – ط- مكتبة الدار العربية للكتاب

ب – الرحلات – د. شوقي ضيف – ط- دار المعارف

ج- أدب الرحلة عند العرب – د.حسني محمود حسين –ط- دار الأندلس

د- أدب الرحلة – تاريخه وأعلامه – جورج غريب – ط- دار الثقافة

هـ- الأدب وفنونه – دراسة ونقد – د. عز الدين إسماعيل – ط- دار الفكر العربي

و- لمحات من الشعر القصصي في الأدب العربي – نوري حمودي – ط دار الجاحظ

ز- تاريخ الأدب العربي – أحمد حسن الزيات – ط- دار نهضة مصر

ح- دراسات في الشعر العربي المعاصر د. شوقي ضيف – ط- دار المعارف

ط- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د. عز الدين إسماعيل – ط- دار الفكر العربي

وتم وضع **هيكل تنظيمي** للبحث الغرض منه عرض مادته العلمية وهو كالآتي :

مقدمة وفيها :

- **سبب اختيار الموضوع – المشكلات التي يعالجها البحث – صعوبات الدراسة – المنهج المتبع في البحث – حدود الدراسة – الدراسات السابقة – هيكل البحث .**
- **تمهيد وفيه :**

أولا: **التعريف بالأديب**

ثانيا : عصر الأديب

ثالثا: وصف الديوان

رابعا: أدب الرحلة تأصيلا وتفصيلا

- **الفصل الأول : الدراسة الفنية لأدب الرحلة في الديوان (المنثور)**
- **الفصل الثاني : الدراسة الفنية لأدب الرحلة في الديوان (المنظوم)**

ثم خاتمة أوجزت فيها نتائج البحث وتوصياته ، ثم ثبت المصادر والمراجع .

والله أسأل أن ينفعني بما درست ، وأن ينفع به غيري ، وأن يكون ما كتبته ، وما بذلته من جهد في سبيل إخراج هذا البحث إلى النور في ميزان حسناتي ، وحسنات من يقرأ ، مع الاعتذار

عن التقصير والنقص ، فالكمال لله وحده سبحانه ، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد في الأولين والآخرين ، وفي الملأ الأعلى وفي عليين .

(التمهيد)

أولا : التعريف بالأديب :

أ- اسمه ونسبه وموطنه :

لويس بن يعقوب بن إبراهيم الصابنجي : باحث ، عارف باللغات ، متأدب ، ولد بجزيرة العشاق بين دجلة والفرات عام ١٨٣٨، يذكربعض من ترجم للأديب أن موطنه ومسقط رأسه ديار بكرالتركية ، والبعض الأخر ينسبه إلى سورية ، والحقيقة التي أعلن عنها الأديب بالديوان أن موطنه " جزيرة العشاق " ؛ ذلك عندما وصفها بقصيدة اختار لها عنوان " الوطن القديم " وصرّح في التقديم لها أنه يقصد " جزيرة العشاق " التي تقع عند تعانق نهري دجلة والفرات باقترانهما عند بلدة " القرنة " بين البصرة وسوق الشيوخ ، ويقول عنها إنها أرض الأولياء ، والعلماء ، والمفسرين ، والمؤرخين ، وينظم فيها أبياتا قال فيها :

خُلقتُ بأرضٍ ذات مجدٍ وبهجةٍ.....سقاها إلهي من فراتٍ ودجلةِ[1]

يفهم من ذلك أنه عراقي المولد والموطن ، تعلم في سورية ، وأجاد العربية ، والتركية ، و اللاتينية ، والإيطالية ، والفرنسية ، والإنجليزية .

ويعرّف بنفسه في مستهل صفحات الديوان قائلا :" أول ديوان انتهى بنظمه، وترتيبه على أسلوب الشعر العصري العالم العامل ، والأستاذ الفاضل المنضم في سلك رجال الجمعيتين العلميتين المعروفة إحداهما باسم " أكاديمية الأركادي " برومة ، وثانيهما باسم " الجمعية الأسيوية الملكية "

[1] – الديوان ص ١٤٠

بلندرة ، والمنتخب سابقا من ولي عهد ملكة انجلترا البرنس " أوف ولس " " اليوم الملك ألبر إدوارد السابع " معلما لتعليم اللغات الشرقية بدار الفنون المعروفة باسم " إمبريال انستيتيوت " بلندرة ، والمشرّف بإدارة سنية من حضرة صاحب الشوكة والإجلال مولانا المعظم السلطان ابن السلطان السلطان الغازي " عبد الحميد " خان الثاني بتعليم أنجاله الأمراء النجباء العظام علم التاريخ ، والمترجم الخاص لجلالته الملوكية من الإنجليزي ، والعربي ، والفرنسوي ، والإيتلياني إلى التركي : لويس البري الصابنجي المشهور " [1] وقد ظل على ولائه للسلطان عبد الحميد خان فقد " أنعم عليه بدار فسيحة في أحسن بقعة ، وجعل له خمسين ليرة عثمانية راتبا شهريا ثم عينه عضوا في المجلس الكبير لنظارة المعارف ، ولبث على هذا الحال حتى أعلن الدستور ، فاعتزل الوظائف وانقطع إلى التأليف والمطالعة"[2]

لا نعرف شيئا عن طفولته وسنوات عمره الأولى ، ولم يتحدث عن ذلك في ديوانه وليس في الديوان خبرعن زوجه أوأولاده وأغلب الظن أنه لم يتزوج ، ولم أجد في الديوان سوى شوقه لرؤية أمه بعد أن حالت الغربة بينه وبين رؤيتها .

---

[1] – ديوان شعر النحلة المنظوم في خلال الرحلة – لويس الصابنجي –ط– المطبعة التجارية – الإسكندرية ١٩٠١ص٤

[2] – تحفة الزمن بترتيب تراجم أعلام الأدب والفن – أدهم الجندي – دار المقتبس – ط– ١ المجلد الرابع ص١٦٩

ب- ثقافته وشعره :

يتمتع صابنجي بثقافة [1]موسوعية في شتى ميادين العلم والمعرفة . يشهد بذلك ديوانه الذي حوى العديد من العلوم ، والمعارف في مجالات عدة: فلسفية ، طبيعية ، اجتماعية وغيرها كثير .

كما يشهد بذلك أيضا كل من ترجم له ، أو تحدث عنه فقالوا إنه : صحفي، شاعر ، سياسي ، خطيب ، مربٍ مؤرخ ، فيلسوف ، لاهوتي ، رسام ، موسيقي ، ومخترع ..متعدد المواهب . سافر إلى روما فدرس العلوم العقلية، ونال شهادة الدكتوراه في الفلسفة ، كتب العديد من المؤلفات منها : تهذيب الأخلاق ، والنحلة الفتاة ، وفتنة حلب ،و فتنة لبنان وسورية ، وأصدر صحيفتين أدبيتين علميتين سياسيتين هما : النحلة ، والنجاح ، وله أيضا جريدة " الاتحاد الأوربي ، و " الخلافة " وله ديوان شعر مطبوع بعنوان : شعر النحلة المنظوم في خلال الرحلة – وهو موضوع الدراسة في البحث – نظمه أثناء تجوله حول الأرض في سنتين وأربعة أشهرتحدث فيه عن سكان البلاد التي قام بزيارتها ، وعاداتهم وتقاليدهم ، وطبيعة تلك البلاد وأجوائها ومظاهر الحياة فيها نثرا ونظما . أهداه إلى السلطان عبد الحميد الثاني " مجلدة بثلث صفائح من الفضة الخالصة ....وقد عنى بتزيين الصفيحة الأولى منها .... مرصعة بحجارة الماس .. وياقوت أزرق ....." [2]،

٢- – معجم الأدباء – من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢جمع : كامل سلمان جاسم – ط- دار الكتب العلمية – بيرؤت – لبنان – ط سنة ٢٠٠٣- ٥٢/٥- الأعلام – الزركلي – ط- دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ٢٤٧/٥

– موسوعة الفراشة – موقع الشبكة العنكبوتية

[2]- راجع الديوان ص ٥٤٩ وما بعدها

وأهدى نسخة أخرى منه لباشا مصر المعظم عباس حلمي الثاني صاحب السمو والدولة وخديوها المفخم كما يقول [١]، وقد صرّح في مقدمة الديوان أنه تمت طباعته " بالإسكندرية بعناية حضرة السيدة الفاضلة والكاتبة البارعة الكسندرا افيرينوه صاحبة مجلتي (أنيس الجليس) العربية و(لوتوس) الفرنسوية سنة ١٩٠١ "[٢] وأنه نظم القسم الأعظم من قصائد هذا الديوان في خلال سياحته حول الكرة الأرضية [٣] وفيما يبدو أن موهبته الشعرية ظهرت في سن مبكرة فله قصيدة في الديوان يُقدم لها بقوله :هذا أول شعر قلته وأنا صبي وذلك بمدينة حلب سنة ١٨٥٣

يامن غدا في فكرتي لا يبرحُ.....مالي أراك بسيف صدّك تجرحُ

إن كنت تأبى ودّ صبٍ قد غدت .....منه الحشاشة بالمودة تطفحُ[٤]

وتجده يبث آراءه النقدية في ثنايا مؤلفاته من هذا ما ذكره عن علاقة الشعر بالتجربة الشعرية من حيث الصدق والكذب قوله : " إن الشعر المنظوم في التوبة والنجوى والغزل والرثاء يكون دائما محصول ما تشعر به الطبيعة ، وهو الشعر الحقيقي الطبيعي الذي ينشده القلب فينظمه العقل بالسليقة الطبيعية دون تكلف أو فرط اعتناء . أما الكلام المنظوم في المديح والوصف فلا يطلق عليه اسم الشعر بحصر القول ؛ لأنه ليس من محصول شعائر القلب ولا مدخل للإحساس والشعور الطبيعي فيه ، يتصور العقل

---

١ – الديوان ص ٥٤٩

٢ – الديوان ص ٤

٣ – الديوان ص ٤

٤ – الديوان ص ٣٣٠

فقط ثم ينظمه في أبحروقواف ، فهو عين الحقيقة نظم مكلف ، وفي الغالب مأجور فجدير أن يسمى نظما لا شعرا "[1] هذا حديث يدل على ما كان يتمتع به الأديب من عقل ناقد ، وحس مرهف ، عالم ببواطن الأمور ، ومجرياتها ، وأثرها في نفس الشاعرثم ظهور هذا الأثر على العمل الأدبي .

وله قصيدة يعلن فيها توبته ، وبعده عن المعاصي والآثام مرتبة وفق الحروف الأبجدية قال فيها :

أمن بعد عزي وارتفاعي ورتبتي .....أسير إلى دار الهوان بذلة

برى وجنتي من فرط حزني وحرقتي .....بدية بكائي كل يومٍ وليلة

تذكرت أيام الشباب وطيشهُ ..... تمزق في أحشاي قلبي بحسرة

وقصائده في الديوان خير شاهد على تنوع معارفه ، ويكأنه لم يترك بابا من أبواب المعرفة إلا طرقه بل وأوغل فيه ونهل من معينه الذي لا ينضب .

وله مسرحية بعنوان " شاؤول وداوود " مترجمة عن الفرنسية ، كما نشر ديوان ابن الفارض وطبعه في بيروت مشكولا بالحركات [2]، بشعره نزعة عقلانية ، يميل إلى التحليل والتعليل ، وله شعر في إثبات وجود الله ، يرد به على الملاحدة والزنادقة الذين ينكرون وجوده تعالى ، كما كتب في الفخر الذاتي الذي عبَر من خلاله عن بعض سجاياه الحميدة ، وله شعر في تقريظ بعض المجلات ، إلا أن شعره بوجه عام أقرب إلى النظم منه إلى

---

[1] – الديوان ص ٤٥٩

[2] – معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين – ط– مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية – ٢٠٢١

الشعر ذي الأخيلة ، والتدفق العاطفي ، ولغته مباشرة وخياله شحيح [١]– هذا كله مثبت من خلال التحليل والدراسة بالبحث – ، ويقول عن ديوانه " وفي الحقيقة إن هذا الديوان قد حوى من كل فن خبرا ، وجمع بين العذب والمفيد، وجاء كأنه دائرة معارف صغيرة " [٢]والغريب أنه نبه في نهاية الديوان على أنه مزود بتصاوير فوطغرافية وغير فوطغرافية لمن يتحدث عنهم ، ولكن نسخة الديوان التي اعتمدت عليها في الدراسة والتحليل لم أعثر فيها على فوطغرافية واحدة ، ولكني وجدت تعليل ذلك في الديوان بقلم صابنجي عندما قال مفصلا " فمن أراد أن يقتني هذا الديوان بتصاويره اقتضى له أن يدفع علاوة على ثمن الديوان نصف فرنك فقط ثمن كل تصوير فوتغرافي وذلك ثمن ورق الفوطغراف وطبعه وشغله "[٣].

أظهرلويس صابنجي مقدرة بارعة في فن الصحافة ؛ حيث نهض بأسبابها ، وحمل رسالتها عاليا وأسس مطبعة لنشر الكتب في اللغات المختلفة ، وأثناء وجوده في انجلترا اخترع آلة التصوير ، وباع حقوقه في امتياز الاختراع ، واخترع آلة تصوير أخرى وانتفع بامتيازها ، وحق اختراعها.

درس عشر لغات ، وأحكم الحديث والكتابة بها ، يضاف إلى ذلك ما عُرف عنه من موهبته في الرسم ، فقيل إنه رسم صورة من أربعة أمتار بألوان

---

١ – المرجع السابق

٢ – الديوان ص ٥٤٨

٣ – الديوان ص ٥٤٧، وما بعدها

الزيت تمثل تسلسل الأديان من عهد آدم ، قيل عنها إنها " تحفة لا نظير لها في العالم "[١] كما نال أوسمة متنوعة كثيرة .

ج- وفاته : عاش صابونجي حياته متنقلا في أرجاء الأرض طولا وعرضا، شرقا وغربا ، محبا للرحلة والسفر إلى أن استقر في سنوات عمره الأخيرة بمدينة لوس انجلوس التابعة لولاية كاليفورنيا بأمريكا الشمالية ، وفي إحدى الليالي اغتاله طامع بالمال وهو راقد في سريره في أحد فنادقها وكان ذلك في سنة ١٩٣١ عن عمر ناهز ثلاثة وتسعين عاما .

وجدير بالذكر أن له في الديوان شعرا يعلن فيه نصح توبته ، ورجوعه عن حياة اللهو ، واستعداده للرحيل من هذا قوله :

أتاني بجنح الليل طيفٌ مخدّرُ..... يقول : دنا يومُ الرحيل أتذكرُ؟

كفاك تضيعُ الوقت في البطل يا فتى ...تزوّد بفضلٍ قبل أنك تُحشرُ

لديه تعالى لاتفيد قصائدٌ.....ولا الشعر يفدي مذنبا يوم ينشرُ

ورحت إلى ديوان شعري مبادرا ..... لأحرقه بالنار والوجه أصفرُ

فنثري ونظمي بعد هذا مقدسٌ.....أسبح فيه لطف ربي وأشكرُ[٢]

وله أيضا مؤكدا المعنى ذاته بقوله :

حياتي سحاب مرّ أكثرها سدى .....كذاك سيمضي ما تبقى بخيبةِ

قضيت نصيبا من حياتي بغبطةٍ ....وشطرٌمضى في كل ضيقٍ ومحنةَ

---

١ – تحفة الزمن بترتيب تراجم أعلام الأدب والفن – أدهم الجندي – ص ١٦٩

٢ – الديوان ص ٤٦٣

إلهي إلهي يا ولي سعادتي .....إليك أتوب عن ذنوبٍ كثيرة

أناجيك ربي طول يومي وليلتي ... ..بشكرٍ وحمدٍ من فؤادي ومهجتي [1]

وله أيضا يُلخّص مسار حياته وقد شعر بدنو أجله :

فأول شعري كان لهو صبابتي .... وآخر نظمي توبةٌ عن شواردي[2]

وكتب أبياتا أوصى أن تحفر في حجرة قبره :

قضى العمر في الأسفار طالب حكمة .. يروم فنونا لا تحدو وتحصرُ

ومن كانت الدنيا الفسيحة كلها ..... تضيق لديه في الحياة وتصغرُ

كفته بُعيد الموت أضيق حفرة..... كما اكتفيا بالمثل كسرى وقيصرُ[3]

وختم ديوانه بأبيات عنونها بعنوان (وصيتي الأخيرة) قال فيها :

أموت وشكري لا يموت إلى الدهر .... ويحيى ذمامي في ترابي إلى الحشرِ

.....

أموت على شكر الإله مؤملا ..... خلودا بدار لاتزول مدى الدهرِ

د- رحلاته وأسفاره :

قضى صابونجي حياته رحالة متجولا محبا للرحلة عاشقا للتجوال ، فتنقل بين إيطاليا ، فرنسا ، انجلترا ، أمريكا ، الهند ، اليابان ، الصين ،

---

١ – الديوان ص ٤٦٥

٢ – الديوان ص ٥٤٦

٣ – الديوان ص ٥٢٣

ومصر مسجلا في ديوانه ما شاهده في تلك البلدان ، وما أعجبه بها ، ومالم يعجبه فيها ، وارتبط قلبه بحب فتاة إنجليزية تدعى " هلدا " نظم في حبها وتعلقه بها عدة قصائد ، ومقطوعات . وهي ابنة الأميرالاي " جمبن " الأرلندي ، فُجع بوفاتها في سن مبكرة ولها من العمر أربعة وعشرون عاما، فعاش على ذكراها ، والحديث عنها ، مخلصا لها لقبها " عروس الشعر " وله فيها قوله :

يقولون " هلدا" قد أصيبت بشدة .... فيا ليتني كنت الطبيب لعلةِ[١]

وهو على كثرة رحلاته دائما يحن لموطنه خاصة ، وبلاد الشرق عامة ، فقال في أثناء رحلته إلى اليابان وتحديدا مدينة " يوكوهاما " يشكو الغربة ، والبعد عن الأهل والأوطان :

لقد طال بعد الشمل مرٌ فراقنا .... وذابت بنار البعد حبة مهجتي

بهذا قضى دهري علي معاندا ..... قضاء ظلومٍ لا يرد بحجةَ

أأشكو إلى دهري فراق أقاربي ..... ودهري قديما كان أصل مصيبتي[٢]

وقال يصف حاله ، وكثرة رحلاته :

وقد طفت حول الأرض شرقا ومغربا .... وصيتي سرى قبلي يذيع برحلتي

وما طاف قبلي من بني سامٍ طائف.....ولا جال منهم بالبسيطة جولتي[٣]

---

١ – الديوان ص ٤٠٩

٢ – الديوان ص ٢٩٨

٣ – الديوان ص ٢٩٩

ويشتاق للذهاب إلى مصر فيناجي أهلها وهو بالصين عندما رأى سرب يمام يطير جهة القطر المصري فهيج كوامن الشوق في نفسه ، وذكّره بأحبة له بالإسكندرية فقال مغردا :

سألت يمامات اللوى عن أحبتي ..... فقلن بخير لا يرمن سوى اللقا

فقلت : متى عدتن يارسل الهوى .... إلى قطر مصر والنخيل تبسقا [١]

ويُعمل عقله وفكره ، ويوازن بين وسائل السفر قديما وحديثا فيقول معبرا:

لأسفار أهل البيد ظعنٌ وهودجٌ ..... ونوقٌ عليها العربُ تغزو وتسرحُ

ونحن قد اعتضنا عن الكل في السرى ... بفلك كحوت البحر تجري وتسبح

وفي البرسرنا في قطار يجره ..... بخارٌ يحاكيه العقاب المجنحُ

يقينا شتاء قرص برد وثلجه ..... وفي القيظ في ظل نبيتُ ونصبحُ[٢]

ولطالما ساقه شوقه لزيارة موطنه لتكتحل عيناه برؤية أحبته فأنشد مغردا :

إلى الوطن المحبوب عودي ومرجعي .. على الوطن المهجور طال توجعي

إليه معادي بعد بُعدي وغربتي ..... وفيه ارتياحي بعد بؤسي ومصرعي

كما حنّ قلب المرضعات على الفطي.....م حنت عليكم يا أحبة أضلعي

أسفت على عمر فقدت خياره ..... بعيدا عن الأوطان عن خير مربعي[٣]

---

١ – الديوان ٣٥٧

٢ – الديوان ص ٤٥٤

٣ – الديوان ص ٣٠٧

إلا أن القدر لم ينصفه ، وأراد له أن يلفظ أنفاسه الأخيرة غيلة بعيدا عن موطنه وأهله . هذا الذي رأى شبها بينه وبين " النحلة " فقد كان مولعا أن يختارها عنونا لبعض مؤلفاته فأطلق على ديوانه " شعر النحلة المنظوم في خلال الرحلة ، وأسس صحيفة أطلق عليها " النحلة " وله كتاب يحمل اسم " النحلة الفتاة " وأفرد لها حديثا مطولا في الديوان . أفاض فيه عن " النحلة " وحياتها وأنواعها ، وكيف تنتج عسلا ، وأماكن تواجدها ...الخ ، ويكأنه رأى فيها ، وفي صفاتها نفسه .[١]

ثانيا: عصر الأديب :

لن أتحدث عن عصر الأديب بالنسق الشائع في الحديث عن العصور الأدبية . بإفراد الحديث عن حالة العصر اجتماعيا ، وسياسيا ، وثقافيا ، واقتصاديا ، فقد امتلأت صفحات التاريخ الأدبي ، والتاريخ العام بمثل ذلك، ولكن من جهة أخرى لا يمكن أن أغفل عن هذا الحديث تماما بوصفه كاشفا عن مؤثرمهم في شخص الأديب ، ثم في نتاجه الأدبي .

وعندما أتحدث عن تلك الفترة التاريخية التي عاشها الأديب وهي فترة تحتل مساحة زمنية ممتدة ما بين سنة ١٨٣٨م إلى سنة ١٩٣١م نستطيع أن ندرك أهمية الحديث عن تلك الفترة تاريخيا ، ونستنتج أثرها في حياة الأديب. فقد عاش صابونجي متقلبا بين أحداث ، ومؤثرات عدة . بدأت مع إرهاصات سقوط الدولة العثمانية ، فقد كان معاصرا خلافة السلطان عبد الحميد (١٨٧٦- ١٩٠٩) آخر سلاطين الدولة العثمانية ، وكان مشاركا في الحياة السياسية آنذاك حيث عمل مترجما للسلطان ، ومعلما لأولاده

[١] – راجع الديوان ص ٨٤ وما بعدها

الأمراء ، و شاهدا على الصراع المحتدم بين الدولة العثمانية وبين نظرائها من الدول الأوربية ، وهو صراع انتهى بسقوط الدولة العثمانية وانتهاء الخلافة الإسلامية . وقد عاش مراقبا براثن الاستعمار وهي تنهش في جسد الأمة العربية الإسلامية بعد أن تم تقسيمها إلى دويلات صغيرة موزعة على الدول الأوربية ، فكانت مصر من نصيب الاحتلال الانجليزي ، والشام من نصيب الاحتلال الفرنسي ، وكذا بلاد المغرب العربي باستثناء ليبيا التي كانت من نصيب الاحتلال الإيطالي .

عاش صابونجي هذا الزخم السياسي وعبّرفي ديوانه عن بعض هذه النواحي فتحدث عن جانب من الحياة النظامية في ظل الخلافة العثمانية عندما تحدث مستطردا عن مشهد المعايدة السلطانية واصفا قصر الخلافة وما تزينت به أركانه وأعمدته من أنواع الأبهة والزينة [1]، وتجول في الأراضي المصرية ، وشارك في المسائل السياسية ، وشاهد غوائل الحرب القائمة على قدم وساق بين الشرق والغرب في التصدي لقوات الاحتلال الانجليزي مؤيدا الزعيم أحمد عرابي في دفاعة عن البلاد المصرية [2]، وقد ثارت في فؤاده الحمية الوطنية فنظم أبياتا تشويقا للجيوش المصرية وتحميسا لهم على مناهضة المحتل الغاشم . كما عاش صراع القوى العظمى في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤– ١٩١٨) وراقب ما حدث في وعد بلفور(١٩١٧) الذي قضى بإنشاء وطن قومي لليهود بفلسطين ، ثم عاصرحل الخلافة الإسلامية في ١٩٢٤م .

---

[1] – راجع الديوان ص ٢٥

[2] – راجع الديوان ص ٧٧

ومن ناحية أخرى فقد عاش صابونجي وشاهد – نتيجة كثرة رحلاته – التطور الهائل الذي شهدته البلاد الأوربية من مظاهر النهضة الحديثة ، وتحدث عن ذلك في ديوانه عندما كتب عن " كرنفال باريس " [١] و" معرض باريس " [٢] ، كما رصد ما أصاب تلك المجتمعات الأوربية من تفكك أسري، وتحلل أخلاقي كتب عنه في ديوانه عندما تحدث عن " مونتي كارلو " [٣] وما رآه في صالة القمار ، وتحدث عن بعض المشاكل الاجتماعية الناتجة عن هذا التحلل في " دعاء عانس" [٤] .

ولم تكن مشاكل المجتمع الغربي وهمومه فقط هي محط اهتمام الأديب بل رصد وكتب نثرا ونظما فيما أصاب المجتمع العربي من أمراض أصابت المجتمع في مقتل ، وغيرت من عاداته وتقاليده وقيمه العربية الموروثة بدعوى مواكبة الحرية ، والتطور ، والتقدم فتحدث عن ذلك في قصيدته " عصر الفساد " [٥]

أما عن الحياة الأدبية فقد كانت ولادة صابونجي مواكبة لولادة زعيم مدرسة الإحياء والبعث محمود سامي البارودي (١٨٣٩ – ١٩٠٤) فشاهد مولد تلك المدرسة ونموها وتطورها وازدهارها على يد أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ثم العقاد وشكري والمازني ومطران وجبران وغيرهم ممن كان لهم الفضل الأكبر في بعث الشعر وإحيائه بعد سنوات من الركود والضعف.

---

١ – راجع الديوان ص ١٤٤

٢ – راجع الديوان ص ١١٢

٣ – راجع الديوان ص ٤٢٦

٤ – راجع الديوان ص ١٠٩

٥ – راجع الديوان ص ١٥١

كل تلك المؤثرات كان لها مردودها في شخص الأديب ثم في نتاجه الأدبي ، وكان مرآة عاكسة لكل ما يجرى على سطح الحياة بكل جوانبها وبكل أبعادها الغربية منها والعربية فوجدناه في الديوان يصارع بين قوتين متكافئتين في داخله : القوى الأولى تمثل الموروث العربي بعاداته وتقاليده وثقافته المحافظة ، والأخرى تمثل قوى التطور والحرية والتغير والثورة على كل ماهو موروث بدعوى الحرية والتمدن فإذا بالأديب يميل إلى تأييد الموروث والتمسك بالطابع المحافظ ، ويندد بما طرأ على المجتمع الشرقي من دعاوى تسللت إليه من أولئك الذين أعجبوا بالحياة الأوربية وانبهروا بمشاهدها وأحداثها .

من هنا تأتي أهمية الحديث عن عصر الأديب ، فقد كانت حياته التي قدر الله لها أن تمتد ما يقرب من ثلاثة وتسعين عاما شاهدة على أحداث فارقة في عمر الحياة العربية الإسلامية وكذا الغربية . على أننا لابد أن نراعي أن الديوان وما به من قطع نثرية ومنظومات شعرية القسم الأعظم منها مقصورعلى ما كتبه الأديب في خلال رحلته كما صرّح بذلك في مقدمة الديوان ، أو بمعنى آخر لم يكن الديوان ترجمة لكل أحداث عصره التي شاهدها الأديب أوانفعل بها وعبّرعنها فقد تمت طباعته سنة ١٩٠١ أي قبل وفاته بثلاثين سنة تقريبا .

ثالثا : وصف الديوان :

أطلق لويس الصابنجي على ديوانه " شعر النحلة المنظوم في خلال الرحلة " لمعنى يقصده ويريد توصيله للقارئ ؛ فقد شبه نفسه بالنحلة التي لا تكل ولا تمل من فرط الحركة والنشاط الدائب . هكذا كانت حياته التي آثر فيها الرحلة ، وحب التنقل من مكان إلى آخر، يشاهد ويصف ما يشاهده ،

ويعيش داخل مجتمعات مختلفة الثقافات ، والعادات ، والتقاليد ، وحتى الأجواء الطبيعية .

الديوان طُبع في الأسكندرية سنة ١٩٠١م وهو ديوان ضخم حيث إن عدد صفحاته تسع وأربعون وخمسمائة صفحة من القطع المتوسط . يبدأه بالتعريف بنفسه قائلا : " أول ديوان انتهى بنظمه وترتيبه على أسلوب الشعر العصري العالم العامل والأستاذ الفاضل .....لويس الصابنجي"[١] موضحا أنه نظم القسم الأعظم من قصائده في خلال سياحته حول الكرة الأرضية ، ثم يكتب " الفاتحة " وفيها يقول : " فتحت بعد الحمد باسمك ديوان نحلتي في رحلتي وسلوتي في غربتي يا فاتح باب البيان ، وبُحت لك بسر قريحتي في نجوتي يا غارس سليقة القريض في الإنسان ....فصرت إذا اسودت الدنيا في عيني وأنا أسير الغربة ، واشتدت علي أزمة المحنة وأنا رهين الكربة خلوت إلى دار وحدتي ، وهجرت إخواني وأهل مودتي ، واتخذت الدواة كاسي وطاسي ...." [٢] ثم يشرع في تقدمة الديوان بالخضوع والشكران إلى " أعتاب حضرة صاحب الشوكة والإقبال . رب المكارم والأفضال ..... خادم الحرمين الشريفين . سلطان البرين . وخاقان البحرين مولانا السلطان ابن السلطان الغازي عبد الحميد " [٣]

وقسم لويس الصابنجي ديوانه إلى ثمانية أبواب بدأ بباب المديح وختم بباب المراثي ، وفي باب المديح يتنوع مديحه بين المديح الخالص للساسة وعلية القوم أوتقديم التهنئة لهم بمناسبات عدة مثل صوم رمضان ، وعيد

---

١ – الديوان ص ٤

٢ – الديوان ص ٥، ٦

٣ – الديوان ص ٧،٨

الفطر ،أوعيد الأضحى أوحلول ليلة المعراج ...الخ ، وغلب على نظمه في المديح المقطوعات القصيرة باستثناء ما نظمه في مدح الخديوي عباس حلمي خديوي مصر والسودان فقد نظم في مديحه قصيدة عدد أبياتها ثلاثة وثلاثون بيتا سبقها بقطعة نثرية يخاطبه فيها ويمدح صفاته . ولم يقصر صابنجي مديحه على الساسة فقط بل مدح رأس كنيسة الفاتيكان بقصيدة مكونة من اثنين وثلاثين بيتا سبقها بقطعة نثرية تحدث فيها عن أبرز صفاته وأخلاقه . كما خص أمه بقصيدة مدحية وصف من خلال أبياتها شوقه لرؤيتها ، وكرهه للغربة التي حالت بينه وبينها .

الباب الثاني في الديوان باب " الفخر " ويتصدر الباب حديثه عن مقصوده من الفخر بقوله " يقوم الفخر في العلماء والشعراء مقام الفخر في الملوك والأمراء إذا افتخر هؤلاء تمجدوا بالسيف والقنا وتباهوا بالفتك بالعدى أما العلماء فيفتخرون ببراعة اليراعة وأفانين الصناعة ..." [1] وفي هذا الباب يفتخر الشاعر بالصفات العربية الأصيلة فافتخر بعلو الهمة ، ومراعاة الزمام ، والفخر بالكرم ، و الصبر ، والمروءة ، والثبات . ويغلب على نظمه في الفخر القصائد الطوال مما يدل على اعتداده بنفسه واعتزازه بكرامته وعلمه . وكعادته يصدر تلك القصائد بقطع نثرية تدل على براعته في الكتابة وموهبته فيها .

الباب الثالث في الديوان باب " الحماسة " يبدأه بالحديث عن الجيوش المصرية ودفاعها في وجه الاحتلال الانجليزي بقيادة الزعيم أحمد عرابي فينظم أبياتا يبث من خلالها الحماسة في نفوسهم ويذكرهم بماضيهم العظيم

---

[1] – الديوان ص ٦٦

وتاريخهم المشرّف . وباب الحماسة أقل أبواب الديوان من حيث عدد القصائد والمقطوعات وكذا القطع النثرية التي تسبق نظم الأبيات فليس فيه سوى قصيدتين ومقطوعة فقط .

الباب الرابع في الديوان باب " الأفانين " يبدأه بالحديث نثرا عن عجائب النحلة العسلية ويستمر حديثه عنها وعن صفاتها ونظام حياتها .....الخ ويطنب في حديثه هذا حتى يستمر به إلى صفحات كثيرة ، ثم يتبع حديثه هذا بنظم يحتوي على ما كتبه في وصف النحلة نثرا ، ثم يعود ويتحدث نثرا عن تربية النحل ، وزمان تعسيل النحل ...الخ

كما تحدث عن الانتقاد وصفة المشتغلين به ، وبعض الأخطاء التي قد يقع فيها بعض النقاد ، ثم ينظم في قوانين النقد عدد من الأبيات التي يكشف من خلالها محاسن النقد ومساوءه .

ويلاحظ أن باب " الأفانين " يحتوي معظمه على ما شاهده لويس الصابنجي في أثناء رحلاته المتعددة فتحدث فيه عن بعض المشكلات الاجتماعية التي تواجه المجتمع الأوربي كما في قصائده " دعاء عانس " و" الانتحار " و" معرض باريس " و " عصر الفساد " وغيرها مماكتبه الصابنجي نثرا ونظما . وله فيه أيضا دراسات تكشف عن سعة ثقافته وذلك عندما تحدث عن " الشمس " والأجرام السماوية والكواكب حديثا مطولا يمزج فيه بين النثر والشعر .

الباب الخامس في الديوان باب " الغزل " فيه عدة قصائد يتحدث فيها عن محبوبته " هلدا " تلك الفتاة التي عشقها وحال القدر بينها وبينه ، كما تحدث عن بعض المغنيات التي التقى بهن في أسفاره ورحلاته .

البـاب السـادس فـي الـديوان بـاب " المقطعـات " يتحدث فيه عن بعض مشاهده في أثناء الرحلة ووصف بعض المدن التي شاهدها وسمات أهلها وبعض طباعهم .

الباب السابع في الديوان باب " التوبة والنجوى " وفيه يتحدث نثرا ونظما عن توبته وعزوفه عن حياة اللهو واللعب ، ويكثر فيه من الحديث الفلسفي العقائدي البحت .

البـاب الثـامن فـي الـديوان بـاب " المراثـي " وفيه رثاء لبعض الشخصيات الدينية مثل رثائه المطران يوسف **وغيره** .

وفـي نهايـة الـديوان فهرست لقصـائد الـديوان مصـحوبة بأرقـام الصـفحات مقسمة حسب الأبواب ثم إيضاح يصف فيه لويس الصابنجي نسخ الديوان التي أهداها للسلطان عبد الحميد ، وللخديوي عباس حلمي ، ثم فهرست للتصاوير وأسمائها في الأصل وأسماء مصوريها البارعين الذين نقل عنهم تصاويرهم وزين بها الديوان ، ثم جدول تضمن تصويب الأخطاء اللغوية التي وقعت بالديوان .

رابعا : أدب الرحلة تأصيلا وتفصيلا :

دأب الإنسان منذ القدم على حب الرحلة [1]والتنقل .يدفعه إلى ذلك عشقه لاستكشاف العالم من حوله ، ومحاولة منه أن يجد إجابات عن أسئلة

---

١ – أدب الرحلة : يطلق على ذلك النوع من الفنون الأدبية الذي يهتم بالانطباعات الصادرة عن المؤلف من خلال ما يقوم به من رحلات إلى البلدان على اختلاف الغايات التي حدثت من أجلها هذه الزيارات كما قالوا عنه إنه نوع من السيرة الذاتية لما يورد فيها الرحالة من معلومات مختلفة عن حياته فالرحلة تتأثر بشخصية كاتبها ==

تدور في رأسه يبحث عن تفسير مقنع لها ..." والحق أن الإنسان منذ أن يولد حتى يموت في رحلات دائبة ، تتعدد أشكالها بمرور الأيام وبتغير الظروف والأحوال ، بل إن لحظات ميلاده تعد رحلة ينتقل فيها من دنيا البشر إلى رحم الأرض تمهيدا لرحلة نهائية وسرمدية تبدأ يوم النفخ في الصور " [١]

فهو مدفوع إلى حب التنقل والمشاهدة ما وسعه ذلك في أرجاء البسيطة " فالإنسان ولد راحلا ، وإن أعجزته الرحلة ، تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال ، ونجد ذلك مبثوثا في الأساطير الأولى ، كما نجده ماثلا في الحروب والفتوح القديمة ، وما سطره الملوك الأول في مصر وفي غير مصر " [٢]

وإذا تجولنا في آي القرآن الكريم نجد أكثر من آية تدعو إلى السفر والرحلة قال تعالى : " قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين"[٣] وقال تعالى : " إن الذين توفهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها

==

الذي لم يكن همه فقط إيراد الحقائق بل التأثير في قارئها أيضا – لمزيد من التفصيل راجع : – مجلة اللغة العربية – مجلة أدبية قطرية محكمة – العدد الأول – يونيو ٢٠٢١– مقال بقلم : فردوس أحمد – وأيضا : مجلة سطور عدد مارس ٢٠١٩ – مقال بقلم محمد السالم

١ – أدب الرحلة في التراث العربي – فؤاد قنديل – ط– مكتبة الدار العربية للكتاب ط٢ – ١٤٢٣–٢٠٠٢ص١٨

٢ – الرحلات – د– شوقي ضيف – ط– دار المعارف ط٤ ص٧

٣ – سورة الأنعام – جزء آية رقم ١٥

فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا "[١] وفي السنة النبوية أكثر من حديث شريف يتحدث فيه صلى الله عليه وسلم عن آداب السفر كرد المظالم ، وتوديع الأهل ، وتحبيب السفر أول النهار ، وكذا بالدلجة فالأرض تطوى ليلا ، والاستعانة بالرفقاء ، واصطحاب الطعام والشراب اللازم لذلك.....[٢]

والشعر العربي يعزز فكرة السفر وحب الرحلة ، ففي السفر راحة نفسية للمسافر والمقيم وقد قالها أبو تمام قديما ، ونظمها شعرا حيث قال :

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحي مُخلقٌ ..... لديباجتيه فاغترب تتجدّد
فإني رأيتُ الشمس زيدت محبة ..إلى الناس أن ليست عليهم بسرمدِ[٣]

ويذهب الإمام الشافعي المذهب نفسه حيث قال :

ما في المُقام لذي عقل وذي أدبِ ..... من راحة فدع الأوطان واغتربِ
سافر تجد عوضا عمن تفارقهُ ..... وانصب فإن لذيذ العيش في النصبِ
إني رأيتُ وقوف الماء يُفسدهُ .....إن ساح طاب وإن لم يجرِ لم يطبِ
والشمس لو وقفت في الفلك دائمة ...لملها الناس من عجم ومن عربِ[٤]

---

١ – سورة النساء آيه رقم ٩٧

٢ – راجع في هذا : المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج – للإمام النووي – ط– مؤسسة الرسالة – ٧٠/١٣

٣ – شرح ديوان أبي تمام – الخطيب التبريزي – قدم له ووضع هوامشه وفهارسه – راجي الأسمر – ط– دار الكتاب العربي – بيروت – ط– ٢– ١٤١٤– ١٩٩٤ – ج٢/ ص ٢٤٦

٤ – ديوان الشافعي – تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي – ط– مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة –ط– ٢– ١٤٠٥– ١٩٨٥ص ٥٤، ٥٥

وقد كان للعرب الأوائل في الجاهلية اهتمام بالرحلة . خاصة تلك الرحلات التجارية إلى بلاد العراق والشام واليمن وغيرها وقد سجل لهم القرآن الكريم رحلتي الشتاء والصيف فقال تعالى في محكم التنزيل : " لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فاليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف "[١] هذا بالإضافة إلى بعض الرحلات التي قام بها بعض شعرائهم إلى مملكتي الحيرة والغساسنة ، فوصفوا في قصائدهم ما شاهدوه في تلك البلدان ، ونقلوا كثيرا من مظاهر الحضارتين الفارسية والرومية .

وأشرقت الأرض بنور الإسلام فوجدنا المسلمين ينطلقون فاتحيين البلاد شرقا وغربا ، خارج حدود شبه الجزيرة العربية ، وكانت تلك الفتوحات تسبقها رحلات استكشافية الغرض منها معرفة طبيعة هذه الأماكن ، وطبيعة أهلها أضف إلى ذلك رحلات الحج السنوية ، ورحلات طلب العلم .

وتوالت الرحلات ، ووجدنا التاريخ العربي يزخر بأسماء رحالة جبلوا على حب الرحلة والتجوال أمثال ابن جبير [٢]، وابن بطوطة[٣] ، ... وغيرهما كثير ممن دونوا مشاهداتهم في مؤلفات كانت وما زالت شاهدة على ماوصل إليه أدب الرحلة من تطور وتقدم .

---

١ – سورة قريش

٢ – ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي . رحالة أديب ولد في بلنسية ونزل بشاطبة وبرع في الأدب ونظم الشعر الرقيق توفي عام ٦١٤ هجرية – الأعلام – خير الدين الزركلي – طبعة دار العلم للملايين – بيروت – لبنان

٣ – ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطنجي رحالة ومؤرخ ولد بطنجة بالمغرب الأقصى ثم رح إلى مصر والشام والعراق والحجاز وكتب رحلته في " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " – الأعلام

إلـى أن كانـت النهضـة الحديثـة " فبـدأ أدب الرحلـة ينـتعش ، وبـدأت زهـوره تتفتح من جديد . وكان فيض عميم من هذا الأدب في القرنين الأخيرين " (١)

ومن الرحالة المشهورين في العصر الحديث ، عمر التونسي(٢) ، الذي دون رحلتـه فـي كتـاب أطلـق عليـه " تشـحيذ الأذهـان " ، ورفاعـة الطهطـاوي (٣)، ورحلتـه مدونـة فـي " تخلـيص الإبريـز فـي تلخـيص بـاريز" ، وأحمـد فـارس الشدياق(٤) وتجد رحلته موصوفة في " الواسطة في أخبار مالطة " ولويس الصابونجي ، ورحلته مدونة نثرا ونظما في " ديوان شعر النحلة المنظوم في

---

١ – انظـر : أدب الرحلـة عنـد العـرب – حسـني محمـود حسـين – ط– دار الأنـدلس – بيروت –ط– ٢ – ١٤٠٣–١٩٣٨ص١٥وما بعدها

٢ – عمـر التونسـي : محمـد بـن عمـر بـن سـليمان التونسـي عـالم لغـوي وكاتـب ورحالـة مصري من أصل تونسي تلقى دروسه في الأزهر الشريف وجمع رحلته في " تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان " توفي عام ١٨٥٧– الأعلام

٣ – رفاعة الطهطاوي : مترجم مصري كبير من عصر محمد على باشا ولد في أكتوبر ١٨٠١في طهطا تخرج من الأزهر ثم سافر إلى فرنسا كتب رحلته في " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " – الأعلام

٤ – أحمد فارس الشدياق : من أئمة اللغة والأدب ولد بقرية عشقوت بلبنان اعتنق الدين الإسلامي عندما سافر إلى تونس وتوفي بالآستانة – الأعلام

خلال الرحلة ، وأمين الريحاني [١]، ورحلته في " ملوك العرب " ، وأنيس منصور [٢] ورحلته في " حول العالم في ٢٠٠يوم "

لا شك في أن تلك الرحلات وغيرها لها قيمة أدبية ، وأخرى علمية . أما القيمة العلمية فتكمن فيما تحتويه معظم الرحلات من العلوم ، والمعارف التاريخية ، والجغرافية ، والاجتماعية ، أما القيمة الأدبية في الرحلات فتتجلى في " ما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب ، وترتقي بها إلى مستوى الخيال الفني ، وبرغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق ، بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى "[٣]

من هنا نستطيع أن ندرك أن ثمة علاقة وثيقة بين أدب الرحلة ، وفن القصة في الأدب العربي ، وأن الفن القصصي له جذورعميقة في الأدب

---

١ – أمين الريحاني : أمين بن فارس بن أنطون المعروف بالريحاني كاتب خطيب ، يعد من المؤرخين ، ولد بإحدى قرى لبنان ثم رحل إلى أميركا وغيرها من البلاد الغربية – توفي عام ١٣٥٩هجرية – الأعلام

٢ – أنيس منصور : كاتب صحفي وفيلسوف وأديب مصري ولد عام ١٩٢٤ بمركز شربين بمحافظة الدقهلية رحل إلى القاهرة وتخرج في كلية الآداب نظم رحلته حول العالم في كتابه الشهير " حول العالم في ٢٠٠يوم " توفي عام ٢٠١١ – موسوعة ويكبيديا – موقع الشبكة العنكبوتية

٣ – أدب الرحلة عند العرب – حسني حسين ص ٨،٩

العربي، فأدب الرحلة بهذا الشكل " خير رد على التهمة التي طالما أتهم بها هذا الأدب ونقصد تهمة قصوره في فن القصة " [١]

ومما ساهم في توثيق العلاقة بينهما أن أغلبية هؤلاء الرحالة كانوا "كُتابا قبل كل شئ ، فجاءت كتاباتهم يغلب عليها الطابع القصصي يستندون به إلى الواقع أحيانا ، ويجنحون إلى الخيال أحيانا أخرى ، ويحفلون فيه بالقصص للمتعة التي تسموبه إلى مرتبة الأدب الفني الصرف في أغلب الأحيان "[٢]

ولا أقول إنه يتفق تماما والأسس الفنية لبناء القصة إلا أن القسمات المشتركة بينهما واضحة في السرد ، والحوار ، والوصف ، وغيرها .

كما توجد علاقات وثيقة بين " أدب الرحلة " وبعض الفنون الأدبية الأخرى : كفن السيرة ، والترجمة الذاتية والترجمة الغيرية ، والشعر العربي ، ودراسة الأساليب البلاغية لذا؛ " يمكننا اعتباره نمطا خاصا من أنماط القول الأدبي، قد لا يرقى إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة أو الشعر أو المسرحية أو المقالة الأدبية مثلا ، ففيه تجتمع أساليب هذه الفنون وموضوعاتها كلها من غير أن تضبطه معاييرها أو أن يخضع لمقاييسها"[٣]

ومن عجب أن أجد أحد النقاد يؤمن بأن أدب الرحلة مقصور على الكتابة النثرية فقط فيدعو الشعراء لتمثيله شعرا ، ويُطلق عليه " النص المرئوي " فيقول موضحا : " ومن المعروف أن هذا الأدب – يقصد أدب الرحلة – بوصفه جنسا مستقلا في الكتابة إنما قام على النثر فيما لم يكتب الشعراء

---

١ – الرحلات – د– شوقي ضيف ص ٦

٢ – أدب الرحلة عند العرب – حسني حسين ص ١٢

٣ – المرجع السابق ص ٩– وأيضا أدب الرحلة في التراث العربي – فؤاد قنديل ص ١٣

شعرا محددا يمكن تحديده أو تجنيسه في اطار أدب الرحلة أي أن قصائد الرحلة أو قصيدة الرحلة ليست موجودة في الأدب العربي ، وإن كانت هناك أشعار رحلة فهي قليلة جدا إن لم تكن غيرموجودة أو غير مكتوبة بوصفها أدبا شعريا موضوعه الرحلة "[1] كيف ذلك؟ فقد كان الشاعر الجاهلي يصف في جزء كبير من أبياته رحلته في الصحراء ، وما يشاهده من حيواناتها ، وما يمر عليه من السهول والوديان والجبال وغيرها ، وبالمثل من كان بعده. وما شعر الفتوحات الإسلامية إلا وصف للبلدان المفتوحة وحديث عن أهلها، وهكذا فيمن جاء بعدهم ، و ديوان لويس صابونجي يعالج فيه أدب الرحلة نثرا ونظما فتجد الموضوع الواحد معالج نثرا ثم نظما ، فجمع الأديب بين النثر والنظم . واصفا ما شاهده خلال رحلاته المتعددة ، فتجد القطع النثرية بخصائص النثر ومقوماته ، بعدها مقطوعة أو قصيدة شعرية بسمات القصائد والمقطوعات ، هذا إن دل على شئ فإنه يدل على براعة الأديب الذي يمتلك براعة التعبير عن الموضوع الواحد نثرا ونظما .

فإذا جمعنا ما قاله لويس صابونجي في أدب الرحلة شعرا ، وما قاله الرحالة الآخرون في مؤلفاتهم من شعرهم ، وشعر غيرهم ، أصبح لدينا أدب في الرحلة بشكله الشعري أو ما أطلق عليه " النص المرئوي " . فقط نحتاج إلى من لديهم القدرة والاهتمام بالبحث عن هذه النفائس المتروكة ، واستخراجها من أرفف المكتبات ، وصفحات المصنفات وصدق القائل " إن أدب

[1] – مجلة الخليج – عدد مارس – ٢٠٢١– مقال بقلم سلطان العميمي – وحديثه هذا في معرض الرد على الكاتب يوسف أبو لوز

الرحلات العربية ، كجبل الجليد ، أكثره لازال في الأعماق " [١]وأنه بمثابة ذخائر نفيسة تستحق البحث عنها واستخراج كنوزها . [٢]

١ – أدب الرحلة في التراث العربي – فؤاد قنديل – ص ١٥

٢ – الرحلات –د. شوقي ضيف – ص٦

(الفصل الأول)

الدراسة الفنية لأدب الرحلة في الديوان – المنثور –

تنوعت رحلات لويس صابونجي شرقا ، وغربا ، وتنوعت معها مشاهداته في شتى بقاع الأرض ، وكانت عينه الفاحصة ترصد ما تشاهده، وذاكرته تحفظ ما وعت ، وقلبه ينبض بما يحياه ، ونفسه تتأثر به ، ويده تدون كل ذلك تدوين الأديب الموهوب ، فتقلبت أيامه بين أحداث شتى ، وحوادث متعددة . دفعته للكتابة عنها رغبة أكيدة في تسجيلها والحكاية عنها، وأسعفته قريحة الفيلسوف المفكر ، وحس الأديب ، وثقافة العالم .

معتمدا على الحكي ، متكئا على السرد بكل مستوياته : حيث الحدث الرئيس ، والأحداث الفرعية ، والشخصيات الرئيسة وكذا الثانوية ، دون إهمال لوصف المكان " الفضاء " وتحديد الزمان ، يختار لكل حدث عنوانا مناسبا ، منوعا بين تلك العناوين ، فتجد العنوان الموضوعي[١] في " دعاء عانس " والعنوان الإيحائي[٢] في " مونتي كارلو ، والعنوان التشخيصي [٣]

---

١ – العنوان الموضوعي : يوحي بالموضوع والسمة الغالبة فيه – بين القصة الأدبية والقصة الصحفية – بحث مقدم بكلية الآداب الجامعة العراقية – إبراهيم الطائي – إشراف : د. منذر جاسم ص ١٨٥ بتصرف

٢ – العنوان الايحائي : فيه شيئ من الغموض مغلف بالرمز – المرجع السابق الصفحة نفسها

٣ – العنوان التشخيصي : يأتي باسم الشخصية الرئيسية أو يعبر عنها – المرجع السابق – الصفحة نفسها

في " المعايدة السلطانية ، والعنوان المنبئ بالنهاية[1] في " العاصفة القاصفة"، والعنوان التنويري [2]في " معرض باريس "

أ- **الحدث** : يتنوع الحدث [3]الرئيسي عند الأديب بتنوع المشاهد والفكرة التي يقوم عليها مابين حدث سياسي اجتماعي ، أو حدث اجتماعي خالص ، أو حدث ثقافي ، أو حدث طبيعي يعتمد على وصف الطبيعة بكل عناصرها المختلفة .

من بين الأحداث **السياسية الاجتماعية الطبيعية** التي وقف عندها الكاتب في أثناء رحلاته المتعددة إلى مدينة الأستانة وبالتحديد إلى قصر " طولمه باغجه " مقر الحكم العثماني ، وكان ذهابه إلى القصر متزامنا مع الاحتفال بعيد الأضحى ، وتقديم المعايدة السلطانية ، وذبح الأضاحي ، وتصادف مع هذا كله حدوث زلزال قوي اهتزت على إثره أركان القصر وتناثرت ثرياه فوق الرؤس فأرعب الحضور ، وقذف في قلوبهم الرعب . عاش الأديب تلك الأحداث ، وكان فردا من أفرادها ، فشاهد ورصد وكتب ما شاهده ودونه للتاريخ .

فالحدث الرئيس ، والغرض من الزيارة " المعايدة السلطانية " تعلقت به أحداث فرعية " ذبح الأضاحي ، وحدوث الزلزال "

---

١ – العنوان المنبئ بالنهاية : تلميح بنهاية القصة – المرجع السابق – الصفحة ذاتها

٢ – العنوان التنويري : إضاءة الفكرة التي تدور حولها القصة – المرجع السابق

٣ – الحدث : مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو خاص هو ما يمكن ، نسميه " الاطار " – الأدب وفنونه – دراسة ونقد – د- عز الدين إسماعيل –ط- دار الفكر العربي – ١٤٢٥-٢٠٠٤

يبدأ الكاتب حديثه بوصف دقيق جدا ، ومفصل عن مراسم المعايدة، ويسرد بتوضيح صفة سلام الخلافة ، وكيفيته ، والحركات والسكنات المصاحبة له، وكأننا أمام مشهد تمثيلي مكتمل الأركان .

وفي سبيل نقل المشهد ، ورسم الصورة استعان الكاتب ببعض الصور البيانية وذلك عندما تحدث عن الموسيقا المعزوفة في أرجاء القصر فوصفها، ووصف أثرها في نفوس الحاضرين من الأمراء، والصدور العظام، وكبار رجال الدولة ، والجند ، والضيوف من سفراء الدول الأجنبية فكتب واصفا " كأنغام نازلة من السماء تسحر الألباب وتهتز لها طربا ألياف القلوب ما دامت ذرات الهواء مهتزة بها في قلب الأثير " فبالغ في وصف ما سمع من أنغام الموسيقا ، واعتبرها أنغاما من السماء وليست من معزوفات البشر وأثرها باق ما دامت ذرات الهواء مهتزة بها ، وزاد في المبالغة عندما عقد موازنة بين ما يسمع من الموسيقا السلطانية ، وما سمعه في أوربا ، وأمريكا ، فحكم بتفوق الموسيقا السلطانية على نظرائها قائلا : " وقد سمعت أنغاما موسيقية كثيرة في أوربا وأمريكا ولم أسمع فيها أنغاما تشابه هذه في الطرب سوى في رومه وذلك في المعبد المشهور باسم " كابلاستينا " في الفاتيكان يوم جمعة الآلام ويوم عيد الفصح لما يصلي البابا صلاة العيد في كنيسة القديس بطرس رئيس الحواريين "[1]

[1] – الديوان ص٢٦

ويستمرفي وصف أثر تلك الموسيقا في نفسه حيث قال : " وكان الطرب قد أخذ بمجامع قلبي إلى درجة كنت أشعر بأن صوت تسبيح الملائكة آت من السماء ومنتشر في هواء القبة "[١]

والملاحظ أن الكاتب مهتم ببيان الأثر النفسي المصاحب للحدث سواء أكان هذا الأثر يخصه أم يخص غيره ، فعندما أراد أن يصف قاعة عرش السلطان وجّه عنايته لما يقع في النفس عند رؤيتها وانشراح الصدر بها وبيّن السبب وراء ذلك لاتساعها ، وفسحتها وجولان النظر في أرجائها فقال " وقد بقى الصحن كله خاليا منبسطا يسهل الجولان فيه وينشرح الصدر به"[٢]

وعقد الموازنة سبيلا من سبل السرد اعتمد الكاتب عليه فيوازن بين قاعة العرش السلطانية ومثيلتها مما شاهده في أسفاره من الدول الأوربية حيث قال : " وقد رأيت قصور ملوك فرنسا بباريس وفرسايل وقصور ملوك انجلترا بقرية وندزر ومدينة لوندرة وقصور ملوك ايتاليا بمدينة تورين وورومة وقصر الباباوات والفاتيكان برومه فما شاهدت فيها قاعة جمعت بين السعة والعلو وحُسن هندسة البناء مثل قاعة " طولمه باغجه" [٣]وقد أضاف إلى هذا الحدث السياسي والاجتماعي حدثا آخر وهو " حدوث الزلزال " فاتخذ الكاتب منه طريقا للحديث عن الزلازل ، وأسباب حدوثها ، والآثار المترتبة

١ – الديوان ص ٢٦

٢ – الديوان ص ٢٦

٣ – الديوان ص ٢٢

عليها....الخ[١] فإذا بالحدث الطارئ يتحول على يد الكاتب إلى حدث رئيس يوليه كل اهتمامه ، ويستطرد في الحديث عنه من خلال عدة محاور:

- تحديد وقت الزلزال بدقة متناهية .
- الآثار المترتبة على حدوث الزلزال وقت المعايدة السلطانية .
- وصف تفصيلي لحال القصر وأهله بعد حدوث الزلزال وتفاوت ردود أفعالهم .
- مدح السلطان ووصفه برباطة الجأش واحتفاظه بالهدوء ، والسكينة ، والوقار ، فقال : " جالسا على عرش الخلافة بجنان ثابت ومتأهبا لقبول المعايدة غير مبال بالاهتزاز والزلزال "[٢]
- إصابة بعض الحاضرين بالخوف والفزع ، وخروجهم من قاعة العرش مذعورين مع بقاء بعضهم داخل القاعة ومنهم الكاتب .
- بيان السبب الذي من أجله آثر الكاتب البقاء داخل قاعة العرش ، حيث قال :

" فإن كان الأجل قد عجل فالموت في قاعة العرش الفسيحة وتحت أقبيتها العظيمة لأمر جلل لا يحصل كل يوم لأي من كان ولا أستطيع أن أختار له مكانا أحسن من هذا المحل "[٣]

---

١ – الديوان ص ٢٥

٢ – الديوان ص ٢٩

٣ – الديوان ص ٣٠

- إضافة روح السخرية للتخفيف من حدة الموقف ، وحبس الأنفاس ، ومحاولة تلطيف الجو المحيط بالحكي فقال : " وبينما أردد هذه الأفكار في عقلي شعرت بأن الهزة قد خفت وأيقنت بزوال الأخطار فأسفت على حرماني من موت مجيد أثيل " [1]

فالحدث مركب من مشاهد متعددة متوالية مزيج بين مراسم المعايدة بقوانينها الصارمة ، وذبح الأضاحي ، وحدوث الزلزال ، ومن ثم كانت الانفعالات متباينة وفق هذه الأحداث المركبة سواء من الشخصيات الفاعلة في النص أو من الكاتب .

ومن **الأحداث الاجتماعية** التي وقف عندها الكاتب ، ووصف من خلالها بعض الظواهر الاجتماعية التي وجدها في بعض البلدان التي طاف بها : ما كان من شيوع ظاهرة " العنوسة " في المجتمع الإنجليزي ، واستوقف الأمر الكاتب فاتخذ من الحديث عن تلك المرأة التي تبحث عن زوج – بعد أن شعرت بأن الأمر صعب المنال بعيد النوال – فأقام معها حوارا لعله يعثرعلى الأسباب التي أدت إلى انتشار تلك الظاهرة ، والغريب أنه توقف عند امرأة محسوبة على الطبقة الراقية من المجتمع فكيف الحال بمن دونها ؟ لاشك في أن الأمرأشد صعوبة ، فمحور الحدث الرئيس رصد انتشار ظاهرة العنوسة بين بنات الطبقة الراقية في المجتمع الإنجليزي ، وسط عوامل تساعد على محاولة تفسيروإيجاد حل لتلك المشكلة ، فالكآبة التي تعلو وجهة تلك المرأة ، والزمن الذي وجدت فيه ، وأصوات من تشاركها الحال تعلو بالدعاء . كلها عوامل تدفع إلى التفكير ، والبحث عن

[1] – الديوان ص ٣٠

حل. فقال مصورا " وبلغ صدى أصواتهن أبواب السماء بين ترديد وبكاء ، ونحيب ، ودعاء " وقد اهتم الكاتب بالحديث عن الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها تلك المرأة حيث وصفها بأنها من وجهاء المجتمع ، ومن علية القوم حتي يشعر القارئ بتعقد المشكلة ، وأن الأمر جلل فقال : " فاتفق لي ذات يوم أني زرت فتاة من عيون القوم فرأيتها قد تردت من الاكتئاب أقبح جلباب . فقلت لها ياربة الدلال والبهاء ويا أليفة الوجاهة ونزيلة العلياء ، ماذا الذي دعاك إلى هذه الأكدار وأنت من نعم المولى في خير ويسار ، ناعمة البال خلية البلبال مستريحة الأفكار ، ودارك قد حفت بالأزهار ، والحشم بين يديك في انتظار ، وأنت حليفة الملاهي في الليل والنهار ، قالت وقد لاحت على وجهها سمات الكآبة ، وبدت على محياها أمارات التعاسة : ما النفع من المال والزهو ، والملابس وأنا بلا زوج مهملة عانس ، وقد أوشكت وردة جبيني على الذبول ، وخارت قواي ، واعتراني الخمول ، فجل ما أبغيه من الدنيا زوج ولو من عود فذلك عندي خير من القعود " [١] وكما يلاحظ اعتماد الكاتب على الحوار الذي أكسب الحديث طابع المرونة، والعذوبة ، والرقة .

ومن **الأحداث الاجتماعية** التي رصدها الكاتب في المجتمع الإيطالي في إحدى رحلاته إلى مدينة " مونتي كارلو " المشهورأهلها بلعب القمار[٢] فعمل الكاتب على رصد تلك الظاهرة التي ابتلي بها هذا المجتمع ، حتى أصبح معلما يميزه عن غيره من المدن الأوربية ، ويضم إلى هذا الحدث الرئيس أحداثا أخرى فرعية عندما تحدث عن " الكازينو" واصفا إياه بقوله " عبارة

---

١ – الديوان ص ١٠٩، ١١٠

٢ – الديوان ص ٤٢٦

عن بناء عظيم يحتوي على أماكن كثيرة منها مكان معد للعب القمار ويسمى باسم "رولت " ومنها ما كان معدا للراحة والرياضة واللهو وفيه حديقة عظيمة في أجمل بقعة " كما تحدث عن الأموال التي تنفق في القمار ومصارفها بالتفصيل فقال : " وقد أصدر مدير هذه الشركة الخبيثة بيانا بحساب نفقاته سنة ١٩٠٠م ، فكان منها ٢٠٠٠٠٠ليرة إنجليزية حصة حاكم البلدة ، ومائة ألف ليرة إنجليزية أجرة مستخدمي الملعب وعددهم ١٦٠٠مستخدم ، وثمانون ألف ليرة إنجليزية أنفقت على مرسح التمثيل والموسيقا ...وثلاثون ألف ليرة إنجليزية دُفعت إلى أصحاب الجرائد ليسكتوا عن تبغيض الناس في المقامرة ، و١٥ ألف ليرة إنجليزية صُرفت في سبيل الإحسان لبعض الأماكن الدينية تكفيرا عن آثام اللعب ، وثلاثة آلاف ليرة أنفقت على تسفير المقامرين الذين فقدوا كل أموالهم في لعب القمار " [١]

وراء كل جملة من الجمل السابقة " حدث " يؤدي إلى مجموعة من التساؤلات الملحة التي تفرض نفسها على الكاتب ، والقارئ على حد سواء ، وهى باختصار كالآتي :

١- كيف يتصف حاكم البلدة بهذه الصفات القبيحة التي تتنافى وطبيعة عمله من ضرورة الحفاظ على السِلم الاجتماعي ومحاربة الآفات الاجتماعية التي تهدد سلامة واستقرار المجتمع ؟

٢- ما صفات مستخدمي الملعب ؟

٣- ما الذي يقدمه مرسح التمثيل ، والموسيقا في ظل هذا الجو ؟

---

[١] - الديوان ص ٤٢٧

٤- كيف تدنت أخلاق أصحاب الجرائد إلى هذا الحد من المستوى الأخلاقي مخالفين بذلك ميثاق شرف المهنة ؟

٥- ما الدور الذي تلعبه الأماكن الدينية في مجتمع كهذا غير أخذ الأموال للتطهيرمن الآثام ؟

٦- كيف وصل الحال بهؤلاء المقامرين حتى فقدوا كل أموالهم في لعب القمار ؟

ومن **الأحداث الثقافية** التي استوقفت الكاتب في إحدى رحلاته لمدينة باريس الفرنسية ما شاهده في معرض باريس العاشر من آلات حديثة تخدم شتى مجالات العلوم والمعارف والصناعات مستطردا من هذا الحدث الرئيس إلى أحداث أخرى فرعية تصب كلها في بوتقة واحدة ألا وهي " وصف معرض باريس " [١]أو كما أطلق عليه الكاتب " سوق عكاظ " فإذا بالكاتب يتحدث عما شاهده بالمعرض من :

١- المخترعات الحديثة الموجودة ووصفها وصفا تفصيليا دقيقا .

٢- اهتمام خاص من الكاتب بوصف الآلات الزراعية وتعليل هذا بقوله " لعلمي بأنها من أول أسباب المعاش ومصدر الخيرات "[٢]

٣- وصف آلات الطحن والعجن ، والآت تجديد الهواء ، وتجميد الماء ، وتشكيل الطين ، وآلة غسل الثياب ، بيان بأسعارها وكيفية عملها .

٤- الثناء على البخار ، والكهرباء وفضلهما في تشغيل تلك الآلات .

---

١ - الديوان ص ١١٢

٢ - الديوان ١١٣

٥- الانبهار بما يشاهده في المعرض فقال : " معرض حوى من كل فن أملحه ، ومن كل علم أحسنه " ، وقال أيضا : " فإني وجدته مدرسة عظيمة الشأن قد حوت من كل فن خبرا ، ومن كل صنعة أثرا "[١]

ومن **الأحداث الثقافية** التي نقلها الكاتب أثناء تجوله في باريس أيضا ، ما أطلق عليه " كرنفال باريس " [٢] وأوضح في بداية حديثه المعنى المقصود من كلمة كرنفال وأنها تعني " إذهب يا لحم بسلام " حيث كان هذا الاحتفال يقام قبل صيام أحد الطوائف الإنجيلية وهذا الحدث الرئيس تدعمه أحداث فرعية صاحبت فاعليات هذا الاحتفال وهي :

١- كيفية تنفيذ هذه الاحتفالية الباريسية بانطلاق ثلاث بقرات سمان في الشوارع والناس من خلفهم ، والحديث عن أثمانهن ، وأوزانهن ، وأسمائهن .

٢- اعتبار هذا الحدث والطقوس المصاحبة له – من وجهة نظر الكاتب – من أعمال الجاهلية وعاداتها لما يشتمل عليه من الخلاعة والمجون وفساد الأخلاق .

ومن الأحداث التي وصفها الكاتب أثناء رحلاته الدولية الوقوف عند بعض **الظواهر الطبيعية** التي تميز تلك الدول ، من ظواهر مناخية ، وأجواء الطقس التي تؤثر بدورها في طبيعة ونفسية ساكنيها ، وظهور أثرها على حياتهم وبعض تلك الظواهر الطبيعية من أعاصير، ورياح وغيرها عاش الكاتب تأثيرها أثناء وجوده في أماكن حدوثها . من ذلك : العاصفة

---

١ – الديوان ١١٣

٢ – الديوان ص ١٤٤

القاصفة [١] التي ضربت مدينة " ايدنبرو " الإنجليزية ، فكانت سببا في تغير الأجواء تغيرا مفاجئا وانتهت بوقوع جسر ، وسقوط قطار بالنهر ، وموت كل من بداخله .

فالحدث الرئيس هنا حدوث العاصفة ، أما ما أسفرت عنه وأدت إليه فيعد أحداثا فرعية مترتبة عليه ، وهو ما يسمى " بالنسق المتداخل " [٢]أو " سرد ميتا حكائي " حيث تداخل حدث انهيار الجسر ووقوع القطار في النهر فقطع حادثا بحادث آخر وهو قيام العاصفة .

وهو في سبيل نقل المشهد يستعين بالآتي :

١- تحديد وقت حدوث العاصفة بقوله : " ثم هطلت الأمطار وجرت السواقي كالأنهار ، وتبطح السيل في البطحاء ، وقامت قيامة الأنواء ، وتوالى وميض البرق ، ودوى صوت الرعد في جهة الشرق ، وأرهفت نصال الصواعق كما السيوف البوارق ، ورجفت من هولها أرجاء تلك الأصقاع ، وحشرجت* الأنفس في الصدور ، وصمت هزيم* أصواتها الأسماع " [٣]

---

١ - الديوان ص ١٥٧

٢ - النسق المتداخل : تداخل الأحداث والانتقال بالسرد إلى الأمام والخلف حيث يقع سرد ضمن سرد آخر دون أن يخرج الكاتب عن خط القصة - قاموس السرديات - جيرالد برنس - ترجمة السيد إمام -ط- دار ميرت للنشر - ط٢٠٠٣- ص ١٧ بتصرف

٣ - الديوان ص ١٥٧ - * حشرجت : الحشرجة : تردد صوت النفس وهو الغرغرة في الصدر - لسان العرب مادة : ح. ش. ر. ج -ط- دار المعارف - مصر
* هزيم : صوت الرعد أو صوت المطر الشديد أو صوت الريح الشديد - لسان العرب مادة : هـ. ز. م

قطعة مفعمة بالبيان الرائع المعجب ، وأسلوب من النمط العالي ، وصور بيانية غاية في الروعة : جرت السواقي كالأنهار " " تبطح السيل في البطحاء " .....

وقد كان لهذه الصور التي جسدت ظواهر عنفوان الطبيعة ، وثورتها في وجه الإنسان ونقلت بصدق الإحساس بالخوف والرهبة من تقلبات الطبيعة ، يضاف إلى ذلك استعانة الكاتب بالصور البديعية المؤثرة كما في قوله : " قامت قيامة الأنواء " .....نصال الصواعق كالسيوف البوارق " هذا كله بجانب استخدامه لألفاظ واصفة كاشفة لهول الموقف مثل : "قصفت " " الصواعق " " الرياح النواسف " " دوي صوت الرعد " " حشرجت الأنفس " فاستطاع بتلك الأدوات مجتمعة أن يضع القارئ داخل المشهد ، والتجربة القاسية التي تخيم على الأجواء .

٢- وصف حاله بعد تغير الأحوال المناخية ، وقيام العاصفة حيث قال : " فهرعت إلى الدار اتقاء نزول الأمطار ، ولزمت الحجرة في فزع ورعدة ، أترقب بها قيام الساعة أو النهاية على أسلم غاية " [١]

فقوله : "فهرعت إلى الدار" يدل على إحساسه الشديد بالفزع ، والرعب متدرجا في الوصف منذ قيام العاصفة إلى أن أصيب بالخوف ، والفزع ثم ما ترتب على ذلك من آثار .

٣- الاستطراد في الحديث عن الجسرالمنكوب ، ومن بناه ، وطوله ، والمواد المصنوع منها ، وعدد أعمدته .....الخ

---

[١] - الديوان ص ٢٤٧

٤- يمكننا ترتيب الأحداث متوالية كالآتي :

قيام العاصفة ⟸ الخوف والفزع ⟸ لزوم الحجرة ⟸ ترقب قيام الساعة أو النجاة ⟸ سقوط الأمطار ⟸ جريان السواقي كالأنهار ⟸ توالي ومميض البرق ⟸ دوي صوت الرعد ⟸ توالي الصواعق كالسيوف ⟸ حشرجت الأنفس في الصدور ⟸ انهيار الجسر ⟸ سقوط القطار في النهر ⟸ موت كل من في القطار .

ومن **الظواهر الطبيعية** التي وصفها الكاتب في أثناء وجوده بمدينة " لوندرة " الإنجليزية [١] ظاهرة تكاثف الضباب بهذه المدينة واعتبرذلك حدثا رئيسا يستحق الوقوف عنده ورصده والكتابة عنه حيث يكثر الضباب ، ويتسبب في حجب الرؤية ، وشدة الصقيع ، فيضطر سكان تلك البلدة لإشعال النار في كل حجرة من حجرات الدارللتدفئة فينتج عن ذلك دخان أسود كثيف يتسبب في اختناق الأنفاس وإصابة الكثير منهم بداء " السل " العضال الذي يحصد من الأرواح سنويا أضعاف من يقتلون بالحروب .

استعان الكاتب على وصف الحدث بعدة أدوات هي :

١- أسلوب المبالغة ، وهذا واضح في قوله : " الضباب بلندرة وما أدراك ما الضباب في هذه المدينة "

٢- بعض الصور البيانية مثل وصفه لكثافة الضباب بقوله : " حتى حجب المنازل ، وحجب عنها النور بالكلية ، وصير رابعة النهار حالكة كسواد

---

[١] - الديوان ص ٢٤٧

ليلة ليلاء " ، وأيضا في بيان أثر الدخان على الرئة بقوله : " فإذا تنخع الإنسان أو بصق كان ذلك كسفا سوداء كسخام القدور " [١]، وأيضا قوله : " يضطر الإنسان إلى تبديل قميصه الأبيض ، وغسل وجهه ، ويديه مرارا عديدة في النهار "[٢]

وبعد ... يلاحظ أن الكاتب يسرد الأحداث ، وينوع في الحكي لذا ؛ كانت الرؤية السردية لديه تمثل ما يسمى " الرؤية من الخلف " ؛ فالكاتب سارد عالم بكل شيء عن شخصيات الحكاية ، وليس لهذه الأشخاص أسرار يخفونها عنه ، كما تراه يتعمد أن يأتي بكل أشكال السرد فتجده يتبع أسلوب السرد المتسلسل وقوامه تتبع السارد الترتيب المتدرج لوقوع الأحداث ، فالحدث الرئيس يصفه الكاتب في الزمن الأول ثم يتفرع إلى الأحداث الفرعية ، وهذا واضح بالفعل فيما عرضه من الحديث عن " العاصفة القاصفة " وما ترتب عليها من آثار مدمرة ، كما نجد السرد المتقطع الذي يقوم على عدم احترام التسلسل المنطقي لوقوع الأحداث إذ قد يصور الكاتب الحكاية من آخر الحدث ثم ينتقل بعد ذلك إلى البداية " فلاش باك" وهذا واضح في " دعاء عانس " إذا يبين الكاتب ما وصلت إليه العانس من الكآبة ، والحزن مع الاهتمام بالحديث عما تتمتع به من وجاهة اجتماعية ، وقدر عال من الجمال ، ورغد العيش ، ثم في النهاية يبين السبب الرئيس لحدوث هذه الحالة وهو: أنها وباختصار : " بلازوج "

---

١ – الديوان ص ٢٤٧

٢ – الديوان ص ٢٤٩

كما تجد عنده أيضا " السرد التناوبي " ويكون عرض الأحداث فيه بالتناوب يبدأ بالحدث ثم يترك الحديث عنه ، ويتحدث عن حدث آخر ثم يعود للحدث الأول ، وهذا واضح جدا في وصف المعايدة السلطانية ، وذبح الأضاحي ، وحدوث الزلزال ، ثم العودة لاستكمال مراسم المعايدة بعد هدوء الحال ، وإزالة ما نجم عن وقوع الزلزال من آثار نفسية ، واجتماعية .

ب-**الشخصية** : تعتبر الشخصيات [1] مكونا أساسيا من مكونات الخطاب السردي

وهي إما :

شخصيات رئيسية محورية ، تساعد على تنامي الأحداث ، منها ما هو فاعل في النص ، ومنها ما ليس فاعلا . فنجد الشخصية الرئيسة في " دعاء عانس " تلك المرأة التي تشكوعنوسة وبحثا عن زوج ، وفي " كرنفال باريس " نجد من يشاركون في الاحتفالية أشخاصا رئيسيين في الحدث . تساعدهم بعض الشخصيات الثانوية الفاعلة أمثال " البقرات الثلاث السمان"، وعمال النظافة الذين يقومون بتنظيف الشارع بعد انتهاء الاحتفال، وبهم تنتهي المساخر ويسدل الستار على الحدث " وهذه نهاية الجنون " [2]

ومن الشخصيات الفاعلة للحدث في النص السردي في "العاصفة القاصفة" أولئك الذين شاهدوا انهيار الجسر ، وسقوط القطار بالنهر، ووصفوا ما

---

١ – الشخصية : كائن له صفات أو سمات إنسانية ، ومنخرط في أفعال إنسانية ، وقد يشمل وصف الشخصية تحديد ملامحها وتدقيقها ، كذلك يستهدف نفسية هذه الشخصيات بسبر أغوارها الداخلية . قاموس السرديات – ص ٣٠

٢ – الديوان ص ١٤٥

شاهدوه أمام أعينهم ، يضاف إليهم شخصية العروس التي كان النهر مسرحا للاحتفال بعرسها ، وأيضا ذلك الزوج الذي رغب في السفر بالقطار ومنعته زوجه من الذهاب ، فكتب الله له النجاة فقد كانوا جميعا من الشخصيات الفاعلة في النص وتحدث عنهم الكاتب قائلا : " .... خسف الجسر العظيم بالقطار كله ، وهبط به وبمن فيه من المسافرين فسقطوا جميعا في طرفة عين من علو تسعين قدما إلى قرار النهر الغدار ، ولم ينج منهم أحد ..... وكان من جملة من غرق شاب وصبية كانا على أهبة عقد الزواج فقرن بينهما الحمام في قرار اللجة اقترانا لا انفكاك له ، وكان رجل آخر قد عقد النية على الذهاب بذلك القطار إلى مدينة " دندي " فحاولت امرأته أن تصده عن الذهاب أثناء تلك العاصفة وهو يصر على الذهاب . وما زال في جدال حتى تملص منها وهرع إلى المحطة فلما وصل إليها كان القطار قد سبق وقام فغضب غضبا شديدا على زوجته ودام ليلته ساخطا عليها . فلما بلغه في الغد ما حل بالقطار شكر الله على سلامته وصالح زوجته . "[1]

وفي الحديث عن مدينة القمار " مونتي كارلو" تجد من الشخصيات الرئيسة في النص " صاحب الكازينو " الذي يقوم بإدارة هذا المكان بهذه الطريقة بينما حاكم المدينة ، والأغنياء الذين يقضون أوقاتهم في هذا المكان " المقامرون والمقامرات " تلك شخصيات فاعلة في النص مؤثرة في الحدث ، أما الممثلون ، والموسيقيون ، وأصحاب الجرائد ، والقائمون على دور الأماكن الدينية ، فكل هؤلاء شخصيات غير فاعلة في النص السردي .

[1] – الديوان ص ١٥٨،١٥٩

وقد كان للكاتب دور بارز في تحليل نفسية أولئك الذين أدمنوا الذهاب لصالة القمار فقال عنهم : " ويقصد هذا المحل من أقطار الدنيا كثير من الأغنياء السفهاء المقامرين فمنهم من يخرج من قاعة " الرولت " مسرورا بما يربحه من النقود ، ومنهم من يخرج مأيوسا ومكروبا من جراء ما فقد من الأموال الكثيرة ، ومنهم من ينتحر بعد خروجه من حجرة اللعب ، ومنهم من يُضيع كل رأس ماله في لعب القمار حتى لا يبقى معه ما يقوم بنفقة رجوعه إلى بلاده فتضطر شركة القمار إلى إعطائه نفقة سفره لتبعده عن مركز اللعب وتتخلص من شر انتحاره "[١]

ويتعجب الكاتب من حالهم وما وصلوا إليه نتيجة إدمانهم لعب القمار ، ويحاول أن يجد تفسيرا مقنعا للسبب الذي دفعهم إلى هذه الحالة . على الرغم مما يتمتعون به من الوجاهة الاجتماعية ، وما يسببونه من تعاسة أزواجهم وأبنائهم لضياع ثرواتهم فيقول :" ويرى على وجوه كل هؤلاء المقامرين والمقامرات سمات مختلفة وكلها تدل على اضطراب ، وانزعاج البال والوسواس ، واليأس ، والقنوط ، وقلّ من يكون بين هؤلاء المقامرين والمقامرات مسرورا أوساكن البال ، فكأن المكان جهنم ، وأصحاب شركة القمار أبالسة وشياطين ، والمقامرين والمقامرات هم المحكوم عليهم وعليهن بالعذاب المؤبد "[٢] فالنص يكشف تمام الكشف عن المعاناة النفسية التي يعيشها هؤلاء وأسرهم ، وأنهم في كدر دائم لا يعرفون راحة أو سكينة ولا يعرفون طريقا إلى السعادة .

---

١ – الديوان ص ٢٢٦، ٢٢٧

٢ – الديوان ص ٢٤٧

كما يظهر سُخط الكاتب على شخصية حاكم المدينة ، وصاحب الكازينو، وأصحاب الجرائد وكرهه لهم من خلال حديثه عنهم ، ووصفهم أمام القارئ بوجوههم القبيحة السيئة ، فأصحاب شركة القمار أبالسة وشياطين ، والمقامرون محكوم عليهم بالعذاب المؤبد ، وحاكم المدينة لديه شراهة في جمع الأموال ، وأصحاب الجرائد يقومون بأدوار لا تتفق ودورهم الحقيقي .

ج- **المكان " الفضاء :** وأقصد مسرح الأحداث ، ومكان تواجد الشخصيات، والمكان في الرحلة محور الحدث ، ومرتكز اهتمام الكاتب ، فعندما وصف الصابونجي قاعة العرش السلطانية مقر الخلافة العثمانية ، اهتم بنقل ، وتصوير كل جزء فيها ، فلم يدع فيها ركنا أو عمودا أو ثريا أو زاوية إلا وصفه ، وأطال في الوصف ، وأفاض فيه فقال : " إن قاعة العرش في وسط قصر " طولمه باغجه" المشيد على ساحل البسفور من جهة أوربا ، وهي أكبر قاعة قام بناؤها على وجه الأرض كلها في الطول والعرض والارتفاع ، وعليها قبة عظيمة جميلة الشكل قامت على اثنين وأربعين عمودا ، ومما زاد هذه القاعة حسنا وغرابة في السعة أن قبتها العظيمة مسندة إلى أعمدة ليست مركوزة في صحن القاعة بل مصطنعة صفا ظريفا في لصق جدرانها ، وقد بقي الصحن كله خاليا منبسطا يسهل الجولان فيه وينشرح الصدر به " [1] فالكاتب بهذا الوصف يستنطق المكان فيجعله يتحدث عن نفسه مفصلا الحديث ، كما عمد إلى بيان الأثر النفسي عند رؤية هذه القاعة حيث ينشرح الصدر برؤيتها ، وتُسر العين بمشاهدتها ، وتسعد النفس بالتواجد فيها .

---

[1] - الديوان ص٢٢

والحديث عن قاعة العرش ، استلزم الحديث عن العرش نفسه ، وتفصيل الحديث عنه ، وبيان طوله ، وارتفاعه ، وسُمكه ، ومقعده حيث قال " " وقد وضعوا في صدر القاعة على نحو خمس أو ست أزرع عن الجدار عرش أمير المؤمنين متجها نحو البحر ، وهذا العرش كرسي مستطيل الشكل كالسرير يبلغ طوله نحو ذراعين ونصف ذراع ، وارتفاعه من أمام نحو ذراع وعرضه نحو ذراع ونصف ذراع وارتفاعه من وراء نحو ثلاث أذرع ، وكله قطعة واحدة من الذهب والابريز المسبوك سبيكة واحدة في قالب الهندام وحسن الصنعة ، وعلى ظاهره نقوش محفورة في صلب الذهب وسمك جدار العرش نحو ثلاث عقد ، وعلى مقعده فرش محشو بريش النعام وغطاؤه من الحرير الأحمر المنقوش بقصب الذهب "[١] ثم استطرد ببيان أصل هذا العرش قائلا : " وكان هذا العرش سابقا لمماليك مصر من عائلة الغوري غنمه منهم السلطان سليم الغازي لما فتح الديار المصرية عام ١٥١٢ للميلاد" [٢]

والإضاءة تحتل مكانا بارزا في قاعة العرش ، فأولاها الكاتب عناية عندما وصفها قائلا : " وفي أربع زوايا قاعة العرش أربعة شمعدانات من الفضة الخالصة يبلغ سمكها نحو شبر ، ومحيطها نحو ست أذرع ، وعلى رأس كل شمعدان عشرون مشعلا لإيقاد نور الغاز الهيدروجيني وعلى كل مشعل قبع من البلور المنقوش ليمنع نفوذ الغاز من المشعل بعد انطفائه "[٣] ويزين المكان ثريا عظيمة جدا مبهرة أنطقت الكاتب بحسنها وروعتها وقال عنها :

---

١ – الديوان ص ٢٣

٢ – الديوان ص ٢٣

٣ – الديوان ص٢٣

" غاية في الحسن واتقان الصنعة وكلها من البلور النقي المثمن معلقة في سقف قبة قاعة العرش بسلسلة نصفها الأعلى من الفضة ، ونصفها الأسفل من جنس بلور الثريا "[١]

أما أرض المكان فمرصوفة بتقاطيع خشب السنديان المصقول بصباغ يشبه لون خشب الجوز .

يلاحظ مما سبق اهتمام الكاتب بوصف تفاصيل المكان وجزئياته ، فجعل قطعته النثرية واصفة للألوان والزخارف والأصباغ ، تعكس فخامة المكان وعظمته ، بما له دور في بيان ما كان يتمتع به السلطان العثماني من صنوف الأبهة ، والهيبة ، ورغد العيش .

ودائما كان المكان محط اهتمام الكاتب أينما ذهب، وحيثما حل، أو ارتحل، فأثناء وجوده بباريس شاهد معرضا كبيرا يضم كثيرا من الآلات الحديثة في شتى المجالات ، اهتم الكاتب بوصفها ،كما اهتم أيضا بوصف المكان الذي يحتويها فقال " فإني وجدته مدرسة عظيمة الشأن ، وقد حوت من كل فن خبرا ومن كل صنعة أثرا ..... وحديقة تتجلى بنضارتها النواظر "[٢]

والمكان هو العنصر البارز في "كرنفال باريس " حيث الشارع مسرح الأحداث ، وعليه تقام فعالية الاحتفال ، كما كان " الكازينو" في "مونتي كارلو "مكانا اتخذه الكاتب إطلالة على ما تنطوي عليه بعض المدن الأوربية من خلل اجتماعي ، وفساد أخلاقي .

---

١ – الديوان ص ٢٤

٢ – الديوان ص ١١٣

د- **الزمان** : تحديد الزمان في الرحلة شيئ ضروري ؛ لذا حرص الكاتب على تحديد زمن الأحداث التي يتناولها ، ويصفها في مشاهداته المتعددة ، فيحدد زمن وقوع الزلزال أثناء المعايدة السلطانية قائلا " " ..... وكانت الساعة الثالثة إلا ربعا من شروق الشمس سُمع صوت رجة خفيفة حصلت من اضطراب واصطكاك وقعا في قطع بلور الثريا الكبيرة المعلقة وسط القبة " [١]وفي معرض باريس يحدد الكاتب مدة إقامة المعرض قائلا : " وقد واظبت خمسة أشهر مديدة أطوف كل يوم منها سوق عكاظ الجديدة "[٢] ولكرنفال باريس موعد سنوي يقام فيه أعلن عنه الكاتب حينما قال :" فإن للنصاري من الإفرنج تسبيح الخلاعة والإكثار من شرب المدام قبل دخول صوم الأربعين ببضعة أيام ، كأن ذلك عندهم ضرب من السحور ترتفع بعده الملاهي ومراسح السرور ، وينقطع البعض منهم عن أكل لحمان الضأن والطيور إلى عيد الفصح أو الفطور " [٣]

وعندما اجتاحت العاصفة مدينة " ايدنبرو " الانجليزية اهتم الكاتب ببيان وقت حدوثها فصرح بأنه كان في يوم السبت ٢٨ كانون الأول ١٨٧٩[٤]، وحدد وقت انهيار الجسر وسقوط القطار بالنهر فقال : " ولما مر القطار بالجسر الحديدي المنصوب على نهر الناي نحو الساعة السابعة وخمس عشرة دقيقة بعد الظهر خسف الجسر العظيم بالقطار كله ، وهبط به وبمن فيه من المسافرين فسقطوا جميعا في طرفة عين من علو تسعين قدما إلى

---

١ - الديوان ص٢٨

٢ - الديوان ص ١١٢

٣ - الديوان ١١٤

٤ - الديوان ص ١٥٧

قرار النهر الغدار ولم ينجُ منهم أحد " [١]وعندما تحدث عن الضباب بمدينة " لندرة " أضاف بأنه يكثر في شهر كانون الثاني .[٢]

١ – الديوان ص ١٥٨

٢ – الديوان ص ٢٤٧

(الفصل الثاني)

الدراسة الفنية لأدب الرحلة في الديوان – المنظوم –

رحلات الشاعر متعددة في أرجاء البسيطة ، يعيش في أروقة الحياة العربية بتاريخها العريق ، وحضارتها التي تضرب بعمق في جذور التاريخ الإنساني ، ويتعايش مع الحياة الغربية بكل ما فيها من ألوان المدنية الحديثة التي تضرب بكل القيم عرض الحائط تحت دعاوى الحرية ، والتقدم ، والتطور ، وشتان بين حياتين مختلفتين ، فشاهد الأديب ، وانفعل ، ورصد، وكتب ، ودوّن ، فكان ما كتبه نثرا ، ونظما [1] شاهدا على تلك الفترة التي عاشها ، وتوثيقا لحالات اجتماعية ، وثقافية ، وسياسية في مجتمعات متباينة .

---

[1] – يتشابه الشعر والنظم في أن كلا منهما كلام موزون مقفى ، لكن الشعر يتميز عن النظم بأنه يمتلئ بروح حية تسري فيه ، وأطياف ملونة تدور حوله ، فيؤثر في روح المتلقي ، أما النظم فإنه يصل إلى أذن المتلقي لكنه لا يتجاوز ذلك إلى صميم قلبه . صحيح تجد فيه تنسيقا عقليا أو محسنات بديعية أو تلاعبا بالألفاظ ولكن لا روح فيه ، والناظم يظل أسير الشكل الشعري الذي يرهق نفسه في إقامته ، ولكن نظمه يخلو من أي هدف حقيقي أو رسالة يمكن تبليغها للناس – انظر : الفرق بين الشعر والنظم – مقال بمجلة السوسنة الأردنية – صحيفة الكترونية – عدد ٢٠٢٠/١١/١٤ وأيضا : الشاعر والناظم – مقال بقلم أ.د. حامد طاهر – موقع الشبكة العنكبوتية – مايو ٢٠١٠

وقد أدرك صابونجي هذه الحقيقة فأطلق على ما كتبه أثناء رحلاته نظما وليس شعرا ، وكان يصدّر نظمه بعد الانتهاء من وصف المقصود نثرا بكلمة " النظم "

وعندما دوّن مشاهداته نظما خرجت تلك المدونات " القصائد " في سياق " القصص الشعري "[1] أو بمعنى أدق فيها بعض ملامح القصة الشعرية ، وشيئ من قسماتها ، وجاءت ملونة بألوان الوصف الشعري .

والحق يقتضي الاعتراف بوجود القصة الشعرية عبر العصور الأدبية المختلفة ، ويستتبع ذلك الإيمان بأن القصص الشعري مر بمراحل كثيرة من التطور شأنه في ذلك شأن كل شئ في الحياة يبدأ صغيرا ثم ينمو ويكبر ويتطور ويتغير ، هذا ما دفع بأحد النقاد أن يقول : " إن القصيدة العربية تعد بناء قصصيا متكاملا توافرت فيها كل أطراف القصة وتوحدت في أشكالها كل الضروب الفنية والقدرات الأدبية التي دفعت بعض نماذجها إلى التفوق فحملت أشكال القصص وإبداعات المؤلفين الذين لونوا كل قصة بما يجعلها قادرة على الأداء وفق العطاء الفردي والالتزام الفني " [2]

ففي العصر الجاهلي نقف عند طرديات امرئ القيس ، و في عصر صدر الإسلام نجد شعرا قصصيا يتحدث فيه الشعراء عن الفتوحات

---

[1] – القصة الشعرية : حكاية شعرية قصصية تتكون من مقاطع شعرية قصيرة ويتكون المقطع من عدد من الأبيات المقفاه يقصد منها الغناء أو الإلقاء الشفهي ، وعادة ما تتناول القصة الشعرية حدثا مثيرا أو دراميا يعتمد على سرد الوقائع أو الحوادث على سبيل القص وحكاية المناظر واستنطاق الأشخاص – راجع : معجم المصطلحات الأدبية – إبراهيم فتحي – ط– التعاضدية العمالية – تونس – ص ٢٧٥وأيضا – تاريخ آداب اللغة العربية – جورجي زيدان ط– دارمكتبة الحياة – ١٩٨٣ – ١/ ٥٤– وأيضا – ديوان العرب – موقع الشبكة العنكبوتية – مقال بقلم : أكرم رخشنده

[2] – لمحات من الشعر القصصي في الأدب العربي – د– نوري حمودي –ط– دار الجاحظ – العراق – ص ٦، ٧

الإسلامية ، وبطولات الفتح ، وما شاهدوه في البلدان المفتوحة ، بينما في العصر الأموي تطالعنا مغامرات عمر بن أبي ربيعة العاطفية التي تعد بحق تطورا في القصيدة العربية يشاركه في الاتجاه ذاته أصحاب الغزل العذري وقصصهم مع معشوقاتهم التي أسهمت بشكل كبير في تطور القصص الشعري ، وكان لها أثرها – فيما بعد – في الشعر الغربي .

وفي العصر العباسي تجد طرديات أبي فراس الحمداني، وقصص مجالس الخمر والشراب عند أبي نواس .

وما إن نصل إلى القرن التاسع عشر حتى نجد ظاهرة جديدة من نوعها على المجتمع العربي ، فإذا حب الرحلة والسفر والتنقل يصبح رغبة ملحة لدى بعض أفراد المجتمع ، عيونهم ترنو من بعيد إلى البلاد الأوربية إما للدراسة أو السياحة أو غيرهما ، فخالطوا تلك المجتمعات التي تختلف تماما عن المجتمعات العربية في كل شئ ، وكان منهم أدباء لديهم موهبة الكتابة نثرا وشعرا فدونوا ما شاهدوه بأسلوب أدبي ماتع يصف المشهد ، ويقص الحدث ، ويسترجع الذكريات ، متأثرين في كل ذلك بالآداب الغربية " وكانت من تلك المزايا مزية قصصية شرُفت شعر العجم بها شرفا كاملا لسعة تفكيرهم في كل واقعة تحدث حولهم في المجتمع ، ثم عبروا عنها تعبيرا مسلسلا كأن أبياتها حلقات السلاسل أو خرزات العقد في جيد اللغة العربية التي صارت لذاك العقد عروسا عذراء . " [1]

---

[1] – تاريخ الأدب العربي – أحمد حسن الزيات – ط– دار نهضة مصر – ط ٢– ص٢٦– وأيضا : دراسات في الشعر العربي المعاصر د. شوقي ضيف – ط– دار المعارف – ص ٤٤

وهذا ما حدث بالفعل مع الأديب لويس الصابنجي عندما طاف الأرجاء ودوّن ما شاهده في شكل قطع نثرية، ومنظومات شعرية تلونت بألوان الوصف ، وتزينت بأسلوب القص لما شاهده في تلك البلاد على اختلافها.

ولابد أن يراعى عند نقد تلك المنظومات أنها تقوم على ركنين مهمين هما: الركن الأول الطبيعة الشعرية، والآخر : الطبيعة القصصية . " فبحكم أنها قصيدة، لابد أن تكون شعرا وبحكم أنها قصصية لابد أن تنقل إلينا قصة فهي شعر وقصة في آن واحد، وبمقدار متساوٍ ، وإنما تستفيد القصة من الشعر التعبير الموحي المؤثر ويستفيد الشعر من القصة التفعيلات المثيرة الحية . فهي بنية متفاعلة، يستفيد كل شق فيها من الشق الآخر وينعكس عليه في الوقت نفسه " [١]

لاشك في أن تجول الأديب في البلدان جعله يهتم بمشاكل تلك المجتمعات، وقضاياها؛ لذا تصدر التعبير عن المشاكل الاجتماعية اهتمام الشاعر فربما كان بطلا من أبطالها ، أو حدثا مؤثرا فيها ، ومن بين المجتمعات عامة يتصدر المجتمع الإنجليزي خاصة . فنجده يتحدث عنه في " دعاء عانس " [٢] و " دار الندوة "[٣] وعن ظاهرة الانتحاربين الشباب الإنجليز في " الانتحار قصة وقصيدة " [٤] كما تحدث عن جانب من

---

١ – الشعر العربي المعاصرقضاياه وظواهره الفنية والمعنوية – د. عز الدين إسماعيل – ط– دار الفكر العربي – ط– ٣– ص ٣٠٠

٢ – الديوان ص ١١٠

٣ – الديوان ص ٥٦

٤ – الديوان ص١١١

المجتمع الفرنسي في " كرنفال باريس " [١] وتوقف عند ما يحدث في إيطاليا في قصيدة " مونتي كارلو [٢].....

وكان للمجتمعات العربية نصيب من رحلات الشاعر ، وأسفاره فجابها وتحدث عما شاهده فيها نظما، ورصد تغير الحال، في " عصر الفساد "[٣] واشترك مع الجيش المصري في مواجهة المحتل بقيادة أحمد عرابي في "الدفاع " [٤]

استنكرالشاعرما وصلت إليه بعض المجتمعات العربية من تحلل خُلقي، وتخبط بين ما هو مأثور ، وبين ما هوغربي منقول ؛ فرصد ذلك في شعره وجعل العنوان يدل على محتوى نظمه فأطلق على هذه المنظومة " عصر الفساد " قائلا :[٥]

ساد الفجور على المدائن والقرى ..... وفشى الفسادٌ بدائه بين الورى

كانت بلاد الشرق مهد فضيلة .....والعلم فيها كان روضا مزهرا

لما أتى أهل الفساد بلادنا .....أغروا جهولا خاض فيه الأبحرا

شقوا نقاب الآنسات ومزقوا ..... ستر الحياء بجنحةٍ لن تغفرا

وأتو كناس الطهر حيث غدا به .....أسدُ العفاف على الحضيض معفرا

---

١ – الديوان ص ١٤٤

٢ – الديوان ص ٤٢٦

٣ – الديوان ص ١٥٣

٤ – الديوان ص٧٧

٥ – الديوان ص ١٥٤ – * تغنج : دلال – غنجت المرأة : تدللت على زوجها بملاحة – لسان العرب مادة غ. ن. ج

فسدوا وعمّ الخلق شر فسادهم .....والشرقُ بعد الأنس أضحى مقفرا

زرعوا قبيح عوائدٍ في مشرق .....فنما به البذر الخبيث وأثمرا

وتفاخروا بحضارة مزعومة .....بئس الحضارة بالدعارة تشترى

ويحتدم الصراع عندما يوازن الشاعر بين قديم وحديث فيقول :

كانت فتاة الشرق تحجب وجهها ....واليوم ترغب صدرها أن يظهرا

كانت لعهد مدارس قد أحدثت .....تأوي الخدور تعففا وتسترا

والآن تقضي في الشوارع وقتها .....بتبرجٍ وتغنجٍ *بين الورى

كانت قديما تكتفي بتعلم الت.....طريز والتدبير في أمر القرى

ولدى التفقه بالمعارف أصبحت ..... تهوى الخلاعة ثم تنظمُ أبحرا

وترتب على هذه الأوضاع خلل اجتماعي ، وأخلاقي فادح رصده الشاعر وحكى عنه قائلا :

زهد الرجال بغادة من مثلها .....ومن الذي يبغي فتاةً جعفرا

يسعى أبوها في احتشاد دراهم ...كي يمهر البنت التي لن تشترى

والأم حارت في أمور بناتها .....ومن الذي في الكون لن يتحيرا

تبكي وتندب في الليالي بنتها .....وفؤادها المحزون ذاب تحسرا

لم أنفِ عن هيفاء كسب معارفٍ .... لو كان ساعدها لطبخٍ شمرا

وكانت الأنثى تدبر منزلا .....وتهذبُ الأطفال يا سعد الورى

واضح جدا حضور الشخصيات بالقصة ممثلين في " الراوي – البنت – الأب – الأم – الرجال الزاهدين في الزواج "

كما أحسن الشاعر استغلال بعض الأدوات التي أعانته على توضيح الصورة ، ونقل المشهد عن طريق استخدامه للفعل الماضي في قوله " ساد – فشى " فدل ذلك على أن تغير الأوضاع ، والأحوال ليس وليد اليوم ، واللحظة بل منذ زمن وأكد ذلك بالتفشي ، والانتشار ، وهذا بطبيعة الحال لايحدث بين عشية وضحاها .

كما يلاحظ استخدام الشاعر لمفردات تدل على عموم الأمر ، وشموله للمدائن والقرى . والتحسر على الأيام الخوالي عندما قال :

كانت بلاد الشرق مهد فضيلة .....وللعلم مرتع ...

وكأن سائلا سأل ما الذي حدث ؟ وما السبب في تغير الأحوال ؟ فكانت الإجابة :

لما أتى أهل الفساد بلادنا ... أغروا جهولا خاض فيه الأبحرا

كما يلاحظ دقة الشاعر في تحديد الفئة التي انغمست في هذا الفساد بقوله : " أغرو جهولا " فلم يستجب لهذا التغيير سوى الجهول . مستعينا بصيغة المبالغة لبيان تمكن صفة الجهل فيه .

ولا يزال إنكار الشاعر للواقع الفاسد يدفع به إلى الاستفهامات التي من خلالها ينقل صورة مريرة ومؤلمة ، وكأن سائلا يسأل : ماذا بعد أن أتى أهل الفساد إلى بلادنا ؟ فكانت الإجابة :

شقوا نقاب الآنسات ومزقوا ... ستر الحياء بجنحةٍ لن تغفرا

هذه الاستفهامات المتتالية تعكس شحنات انفعالية من الشاعر رفضا للواقع المتردي الذي وصلت إليه بعض المجتمعات الشرقية .

كما أحسن الشاعراستخدام بعض المفردات التي تصور الحدث مثل " الآنسات " فالمتوقع منهن كثرة الحياء والأدب فما بالنا بغيرهن ؟ وقوله " أضحى مقفرا " بدلا من " بات " ففيه دليل على أن الفساد أصبح واضحا منتشرا بلا خفاء أو تسترا أو بمعنى آخر في وضح النهارعيانا بيانا .ويؤكد هذا المعنى استخدام الشاعر لكلمة " زرعوا " و" نما " و" أثمرا " دليلا على توغل الفساد وتأصله وانتشاره .

ولم ينس الشاعر بيان موقف هؤلاء الفاسدين مما يصنعون ، فقد زينت لهم أنفسهم ما يفعلون بدعوى التمسك بالحرية ، والمدنية ، والتحضر .... إلى غير ذلك من الدعاوى الزائفة . فقال :

وتفاخروا بحضارة مزعومة .... بئس الحضارة بالدعارة تشترى

وقد ظهرأثرالتمسك بتلك الأفكار على سلوك الفتيات فقال موضحا :

كانت فتاة الشرق تحجب وجهها .... واليوم ترغبُ صدرها أن يظهرا

وقد تسببت بهذا التصرف في تعاسة أبيها و بكاء أمها ؛ لأنهما أيقنا أنه لا خاطب يتقدم معلنا رغبته في الارتباط بها ، والزواج منها لذا ؛ أسف الشاعر على حالها ووصف ما آلت إليه بعد أن تركت ما كانت عليه أمها ، وجدتها من الاهتمام بأمور منزلها ، ورعاية أطفالها فقال : " يا سعد الورى " لو أنها التزمت بما كانت عليه أسلافها .

ومما لا شك فيه أن للوزن العروضي قيمة ، وإضافة للحدث الذي يعبر عنه الشاعر فاختارت نفسه إيقاعات بحر الكامل التام بوصفها أداة مساعدة في التعبير (متفاعلن) تفعيلة تتكررولا تتغير ثلاث مرات في كل شطر ، تفعيلة زادت الحركات فيها على السواكن ، وهذا موافق لطبيعة المشاهد

المتنقلة ، والأحداث المتسارعة ، حركات متوالية متسارعة من أفراد المجتمع نحو ما يسمونه حرية ، وتقدم ، بينما " السكون " يحاول أن يعرقل توالي الحركات دون جدوى ففي كل مرة تفلح وتنطلق بسرعة ، واندفاع .

وروي " الراء " يتبعه الألف خروجا " وحرف الراء من صفته التكرار ، وهذا يعني تأكيد الاستمرار على ما هو قبيح ويؤدي إلى الفساد ، والفجور في المجتمع .

وربما كان الحال أسوأ في المجتمعات الغربية حيث لا رادع ولا دافع . بدعوى الانفتاح على التمدن والحرية الشخصية ، فيعيش الشاعر في تلك المجتمعات ، ويدور مع أفرادها ، فيرحل إلى مدينة "مونتي كارلو " الإيطالية ويشاهد صالات القمار فيقف وينقل المشهد ويصفه نثرا ثم نظما مستخدما من العناصر الشعرية ما يساعده ، ويسعفه فيما يريد فأنشد قائلا:[١]

إلى اللعب والإفلاس يسعى المقامرُ ..... وفي ردنِه المال المذخرُ حاضرُ

يبارحُ حانوتا ويهمل ربحه ..... ويُغرم باللعب المحرّم خاسرُ

تلك كانت البداية التي من خلالها يستحوذ الشاعر على عقل ، وقلب القارئ ، فجعل الشاعرُ المقامرَ يسعى سعيا حثيثا إلى اللعب ثم الإفلاس باعتباره نتيجة مترتبة على لعب القمار ، مستخدما الفعل المضارع " يسعى " رغبة منه في نقل المشهد حيا ماثلا أمام القارئ ، ويبث فيه من روحه .

---

١ – الديوان ص ٤٢٦

لاحظ استخدام حرف " الواو " عطفا بين " اللعب " والإفلاس " ، والواو لمطلق الجمع بين اللعب ، وما يصاحبه من الإفلاس .

ويزداد الموقف تعقيدا عندما يستطرد الشاعرويتحدث عن زوجة المقامر البائسة ، وصبيانه الجوعى مع إتلافه للمال ، والذهب :

يغادر صبيانا تعيش بذلةٍ ..... ويُتلف أموالا شقيٌ مقامرُ

وزوجته تطوي الليالي حزينة ....وقد ضاع منها عقدها والأساورُ

تقول له : قد مزّق الجوع قلبنا ....وأنت تضيع المال والجوع كافرُ

استخدم الشاعر الحوار [1] كاشفا عما تعانيه الزوجة البائسة من تردي الأوضاع الاجتماعية ، والنفسية لأسرتها .

ويوازن الشاعر بين حالين مختلفين للمقامر حاله قبل إدمان لعب القمار ، وحاله بعده فيقول :

تراه قد استولت عليه همومه .... .وزادت عليه في القمار الخسائر

وينتف عثنونا *[2]ويقضم *شاربا....ومن فقده الدينار هاجت خواطرُ

فقد كان قبل اليوم أكبر تاجرٍ.....تحوط به الأشراف ثم الأكابرُ

---

[1] – الحوار : محادثة أو تجاذب لأطراف الحديث ، يستتبع تبادل الآراء والأفكار ، ويستعمل في الشعر والقصة القصيرة والرواية لتصوير الشخصيات ودفع الفعل إلى الأمام – معجم المصطلحات الأدبية ص ١٤٨ بتصرف

[2] – العثنون : اللحية الصغيرة أسفل الذقن – لسان العرب – مادة ع. ث. ن

القضم : يكون بأطراف الأسنان ، والخضم بأقصى الأضراس – لسان العرب مادة ق. ض.م

فقد بات هذا اليوم في الفقر والبلا ... ينوح ويبكي والدموع زواخرُ

وتتضح براعة الشاعر ودقته في استخدام المفردات التي تصور بصدق الحالة النفسية المتردية للمقامرين ، وما يعانونه من اضطراب " هوس نتف الشعر " [1]حيث أسند القضم للشارب ، والشارب لا يُقضم بل يُقص ، ويُهذب ؛ فإن دل هذا على شئ فإنه يدل على الشعور المتزايد لدى المقامر بالتوتر ، والاضطراب السلوكي الداخلي الذي بدت أعراضه ظاهرة على صاحبها بقضم الشارب بمقدمة الأسنان ، ويؤكد هذا المعنى بما أتبعه من قوله :

.....ومن فقده الدينار هاجت خواطرُ

ثم جاء بالتفصيل بعد الإجمال فقال :

فقد كان قبل اليوم أكبر تاجر .....

فقد بات هذا اليوم في الفقر والبلا .....

كما يلاحظ استخدام الشاعر لكلمة " بات " بما توحيه من الإحساس بالكآبة، والظلمة ، والليل ، والوحشة .....

---

[1] – هوس نتف الشعر : أو اضطراب شد خصل الشعر . عبارة عن اضطراب نفسي يتضمن رغبة متكررة لا يمكن مقاومتها لشد الشعر من الرأس أو أي جزء من الجسم ، والعديد من المصابين به يقضمون جلدهم أو أظافرهم أو شفاههم ، دافعه القلق والتوتر أو الملل أو الوحدة أو التعب أو الإحباط ، وقد يعاني الأشخاص المصابون بهذا المرض اضطرابات أخرى مثل الاكتئاب أو القلق أو اضطراب الوسواس القهري ، ولا شك أن وراء ذلك الضغط النفسي الزائد – موقع مايو كلينك – جوجل

وقّع الشاعر أنغام موسيقاه على تفعيلة بحر " الطويل " (فعولن– مفاعيلن) تفعيلة تتغير من فعولن إلى مفاعيلن بتغير حال المقامر بين المكسب والخسارة والدائرة تدور ، والحدث جلل ، والخطب عظيم يضرب المجتمع في مقتل ، ويحدث اضطرابا نفسيا ، واجتماعيا للمقامر ومن يتبعه من زوج ، وأولاد . مغلفا حديثه ومشهده بروي " الراء " المضموم ، وكأن الضم أبواق إنذار يطلقها الشاعر للتحذير من هذه الآفة الاجتماعية ، والتنبيه على آثارها الهادمة ، وقطع الروابط الأسرية ، وخراب العائلات وتفككها ، وتدمير البنية المجتمعية .

لم تكن مشكلة لعب القمار وحدها ما أفزع الشاعر في المجتمع الغربي، بل كانت هناك من المشكلات ما لفتت انتباه الشاعر فنقلها وعبرعنها نظما مثل مشكلة العنوسة ، التي تفشت في المجتمع الإنجليزي فرصدها الشاعر وتحدث عنها لتعرية المجتمع فربما كان ذلك سببا في إيجاد حل لها ، والبحث عن أسباب انتشارها . عندما اتخذ من هذه المرأة العانس مثالا لكل من تشبهها في حالها فقال : [1]

أراها تصلي ثم تقرع صدرها ..... وتشكو إلى رب السماء بحرقةِ

تقول ودمع العين جارٍ بخدها ..... إلهي كفاني ما أقاسي بوحدتي

شبابي انقضى والحُسن زال وعمّني ... اصفرار ذبولٍ واختفى ورد وجنتي

فلا مال أبغي من سخائك بتة ..... ولكن دعائي أن تمنّ بزيجتي

[1] – الديوان ص ١١٠

تتخذ تلك المرأة البائسة من صلاتها متنفسا للتعبيرعن آلامها ، وبث همومها إلى ربها طامعة في تغير الحال . ولك أن تلاحظ استخدام " القرع على الصدر باليد " والمقارعة "المضاربة "، سلوك يعكس شدة الألم النفسي، والحسرة لتلك العانس ، ومن هي في نفس حالتها . فأشخاص القصة ممثلون في " الراوي " (الناظم) بوصفه شخصية محورية في النص ويُطلق عليه " المتجانس " [١]؛ فدوره لا يقل عن دور البطلة[٢] " المرأة العانس " في نقل المشهد وتوضيح الصورة .

وتصارع البطلة الواقع الذي لا يستطيع تحقيق رغبتها وتتعقد الحبكة[٣] في نفس تلك المرأة عندما تستسلم لدموع عينها متنفسا عما تقاسيه من صراع داخلي فتقول معبرة :

تقول ودمع العين جارٍ بخدها ..... إلهي كفاني ما أقاسي بوحدتي

شبابي انقضى والحسن زال وعمّني ..... اصفرار ذبول واختفى ورد وجنتي

وأعلنت عن رغبتها في البحث عن زوج حتى لو كان الناظم نفسه :

---

١ – راجع : الشعر القصصي في القصيدة العربية – الزهاوي أنموذجا – إعداد الباحثة – شيماء الزبيدي –بحث منشور بمجلة العلوم الإنسانية – كلية التربية – جامعة بابل العراق .

٢ – البطل : أو الشخصية الرئيسية التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام في الدراما والرواية ، والكلمة تعني في أصلها اليوناني " المقاتل الأول " وهي الشخصية المحورية في النص – معجم المصطلحات الأدبية – ص ٢١١ بتصرف

٣– الحبكة : مجموعة الحوافز والمكائد وصراعات ومنازعات الشخصية – قاموس السرديات ص ٩٩

فلا أبغي من سخائك بتة ..... ولكن دعائي أن تمنّ بزيجتي

ولكن لم يستطع الشاعر حل المشكلة، أو أن يقترح لها حلا ؛ لذا ترك النهاية مفتوحة غير محسومة ، كأنه أراد أن يضع المشكلة أمام أفراد المجتمع كله حتى ينتبهوا ويتعاونوا في وضع حل لتلك المرأة ، ومن في مثل حالها ، ومحاولة معالجة الأسباب التي تؤدي إلى انتشار تلك الظاهرة .

ولم تكن **الأحداث السياسية** في المجتمعات العربية ، والغربية ببعيدة عن أعين الشاعر فتحدث عن الخلافة العثمانية ووصف المعايدة السلطانية وما يصاحبها من مراسم ، ونظام محدد وصارم ، وفي مصر شارك الجيش المصري في الدفاع عن وطنه ضد الاحتلال الإنجليزي . فقال في المعايدة السلطانية نظما :

أنعم صباحا يا حُميد وبكرِ.....واقبض على السكين كبروانحرِ

قد حل عيدٌ والضحيةُ تفتدي ..... نفس الفتى من كل ضيرٍ مخطرِ

" أنعم صباحا " تحية أهل الجاهلية استوحاها الشاعر من التراث الشعري القديم ، والجدير بالذكر أن تلك التحية أبطلها الإسلام واستبدلها بالسلام ، وهي أيضا من الألفاظ التي لم تعد تستخدم لإبطال ماكانت تستعمل فيه .

مستخدما حرف النداء " يا " الموضوع في اللغة للبعيد ، والبعد هنا بُعد المكانة والمنزلة للمنادى ، وليس بُعد المكان ، احتراما وتقديرا للمنادى " السلطان عبد الحميد " ومستخدما صيغة التصغير " حُميد " والتصغير هنا لتعظيم المصغّروالتهويل من شأنه .

والأمر هنا " اقبض ، كبر ، وانحر " خرج من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي وهو "الالتماس"؛ لأنه صادر من الأدنى " الناظم " للأعلى "السلطان عبد الحميد "

ويُبشر السلطان بقبول الأضحية من رب العالمين فقال :

رفع الملائك ما ذبحت إلى السما .... وتقبل الرحمن نذرك فابشرِ

ثم يقطع الحدث حدث آخرعندما ضرب الزلزال أركان القصرفيصل الصراع إلى ذروته ، وتباين أفراد القصة في استجابتهم للحدث الطارئ فقال واصفا :

لا تخش بأسا إن شعرت بهزةٍ ..... وارتج ركن العرش لا تتحدرِ

رجفت عماد العرش حين تزلزلت ..... أرضٌ ومادت كالقنا المتخطرِ

ومن الثريا قد تناثر عقدُها ..... في قاعة العرش الجليل الأنورِ

وتناثرت منها النجومُ على الثرى ... في منتدى " عبد الحميد " الأكبرِ

ثم كانت الموازنة بين حال السلطان عند وقوع الزلزال ، وحال غيره من ضيوف الحفل وجنود القصر فقال :

لما اعترت قواد جيشك رعبةٌ ....وتوهموا قرب الحمامِ الأحمرِ

فروا إلى الدهليز *[1]خوف ملمة ... فبقيت وحدك في السرير كعنتر

أظهرت هذا اليوم عزما للورى ... ...بالفعل إذ كذّبتَ قولَ المفتري

---

[1] – * الدهليز : ممشى مدخل بين الباب والدار أو مسلك طويل ضيق . فارسي معرّب. لسان العرب مادة(د. هـ. ل.ز)

اعتمد الشاعر في هذا النص على مجموعة من الصور البيانية لتوضيح المشهد ونقل الحدث منها قوله " مادت كالقنا المتخطر " " ومن الثريا قد تناثر عقدها " " وتناثرت منها النجوم على الثرى " " فبقيت وحدك في السرير كعنتر " إلا أننا نحسها صورا تقليدية باهتة لم تضف كثيرا للمعنى الموضوعة في إطاره .ناهيك باستخدام كلمة " دهليز " وهي كلمة فارسية دخلت إلى العربية .

وقّع الشاعر الرحالة أنغام موسيقاه على تفعيلة بحر " الكامل " التام " متفاعلن " فجعل من قصيدته أنشودة تتردد على الألسنة ، ولكن حدوث الزلزال غيّر مسار المعايدة ، وأبدل الأمن خوفا ، وفزعا. ولكن النهاية تأتي سعيدة بعد عودة الأمور إلى طبيعتها هكذا إيقاعات بحر الكامل تتلون بين حركات وسواكن وقد تخالف طبيعتها فتأتي على " مستفعلن " إذا استدعى الأمر ذلك .تختلط الأمور في نفس الشاعر ، وتمتزج الأحداث ببعضها فيختلط الإيقاع ، ويتباين بين " متفاعلن " تفعيلة أصلية في البحر و " مستفعلن " تفعيلة تطرأ وتزول . تماما كما فرض الزلزال نفسه على الحدث الرئيس (المعايدة السلطانية)

كان للشاعر اهتمام خاص بمصر ، وما يجري فيها من أحداث سياسية . فقد زار مصر سنة اثنين وثمانين بعد الثمانمئة والألف ميلادية ووصف حياته بها فقال : " وتحرشت بالمسائل السياسية وشاهدت غوائل الحرب القائمة على قدم وساق بين الشرق والغرب ؛ فثارت في فؤادي

الحمية الوطنية وقلت الأبيات الآتية تشويقا للجيوش المصرية "[1] فقال منشدا:

إلى الحرب يا أبطال قومي تأهبوا ..... وهبوا سريعا واسرجوا الخيل واركبوا

وسيروا ودرع الجد يغشى صدوركم ..وزودوا عن الأوطان والعرض واغلبوا

يستدعي الشاعر صورة التراث الشعري القديم ، ومفرداته فيستخدم " السيف – الرمح – الفرس " في الحروب والمعارك في عصر تغيرت فيه تلك المفردات ، وهذه الصور فقال :

أسير ورمحي في الفوارس عاملٌ ..... وسيفي دراكا في المفارق يضربُ

ولي فرسٌ لا يرهب الموت إن دنا ..... ويعجبه خوض العجاج فيطربُ

يشق صفوف الجيش إن صار مقحما .....ويرتد عنه بالجماجم يلعبُ

السير في فلك الأقدمين ، ونهج طريقهم ، سمة غالبة على تلك الفترة التاريخية التي عاشها الشاعر ، فقد كان معاصرا لأفراد مدرسة الإحياء والبعث متأثرا بدعوتهم في بعث جديد للشعرعن طريق الرجوع إلى التراث الشعري القديم .

حتى عندما أراد أن يتحدث عن الأجداد وسطوتهم ، وقوتهم لم تسعفه قريحته إلا بصورة طالما تناولها القدماء في أشعارهم فشبههم بالضراغم في الوغى حيث قال :

جدودٌ لنا كانوا الضراغم في الوغى ... إليهم بنودٌ النصروالفخر تنسبُ

---

[1] – الديوان ص ٧٧

والاستفهام المجازي الإنكاري يحمل شحنة انفعالية يبثها الشاعر في نفوس المجاهدين حيث قال :

وغيدٌ تعوّدن الدلال بحجرنا .... أتسبى ولا تلقى ألام تندبُ

.....

أليس حياة المرءِ ذلٌ وحسرةٌ.... إذا عاش في أسر العدى يتقلبُ

والاستفهام التقريري تجده في قوله :

ألم تعلموا أن الأجانب أمةٌ..... لحكمهمو من أحمر الموتِ أصعبُ

ويبث الحماسة في نفوس الجنود عندما يذكرهم بعاقبة التولّي يوم الزحف فقال :

فمن خاض هيجاءَ المنايا فإن يفز .... ففتحٌ وإن يُفقد فللّه يذهبُ

ومن فرّ ولى النصر عنه مشمرا ..... وليس له من ساعد الموت مهربُ

يموتُ جبانا خاملا ولئن يعش ... . ففي نار تبكيت الضمير يُعذّبُ

والشخصيات التي تحدث عنها الشاعر في القصيدة موزعة بين شخصيات رئيسة ، وأخرى ثانوية : فالشاعر والجنود والإعداء شخصيات رئيسة في الحدث لا يتم بدونها ، والفراعنة والجدود شخصيات ثانوية مؤثرة في النص تساهم في دفع الحدث في الاتجاه الذي يريده الشاعر ، وهو بث الحماسة في نفوس المحاربين.

اختارت نفس الشاعر إيقاعات بحر " الطويل " " فعولن – مفاعيلن " مناسبة تماما للمعنى الحماسي الموجود بالقصيدة ، ونقل صورة المعركة من كر وفر وإقبال وإدبار ونصر وهزيمة ، ومغلفا تجربته مع الجيش المصري بروي

" الباء " المضموم ، وحرف " الباء" يتصف بالشدة ، وانحباس النفس عند النطق به ، وتنطبق الشفتان انطباقا محكما ، وبعد انفصالهما فجأة ينفجر النفس المحبوس محدثا صوتا انفجاريا مدويا . [١]

مع اعتبار أن " الضم" المصاحب للحرف مناسب أيضا لجو المعركة ، والثورة ضد المحتل كأنه بوق يعلن الشاعر من خلاله النفير إلى أرض المعركة ، ويدفعهم دفعا إلى الحرب والقتال من أجل وطنهم .

وكما اهتم الشاعر برصد الأحداث الاجتماعية ، والسياسية اهتم **برصد التقلبات الجوية** المناخية في تلك البلدان التي زارها ، ورحل إليها ، لأنه يدرك تماما ما لهذه الظواهر الطبيعية من أثر مباشر أو غير مباشر على أهل تلك البلاد في سلوكهم ، ونفسياتهم ، ....الخ وكان اهتمامه بالحديث عن الطبيعة البريطانية يفوق غيره ؛ فقد كانت من أكثر البلدان التي رحل إليها ، ومكث بها وقتا طويلا ، فعندما تعرضت مدينة " إيدنبرو" الإنجليزية للعاصفة وصفها وبين آثارها المدمرة فقال نظما :

وليلٍ يشق البرق جيب قتامه ... .وتدوي رعود الأفق والأرض ترجفُ

وتبكي عيون الغيم والسيل دمعها . ويجري السواقي السيلُ والريح تقصفُ

وتنقضّ من كبد الغمام صواعقٌ..... تدكّ الجبال الراسيات وتنسفُ

وتلطم أمواجُ البحور خدودها ..... وتنعي هلاك الناس والحوتُ موجفُ

---

[١] – مخارج الحروف وصفاتها – أبو الإصبع الإشبيلي – تحقيق – د. محمد يعقوب تركستاني – لايوجد مكان الطبع والنشر – ط– الأولى ١٩٨٤

الواو في كلمة " وليلٍ " واو " رُبّ " والأصل "وربّ ليلٍ " والتنكير للتهويل من شأن الحدث وما يحوط به من ليل موحش ، ومظلم ، يُلقي بظلاله على الحدث ويؤثر فيه أضف إلى ذلك وجود " برق " و" قتامه " و" رعود مدوية " و" الأرض ترجف " يغلف ذلك كله موسيقا حزينة مؤثرة تأتي من حُسن التقسيم الموجود في البيت الثاني ، موسيقا ملونة بلون الغيم ، دامعة ببكاء العين ، صوتها مدو كدوي الرعد ، وكأن كل عناصر الطبيعة تعاونت على إخراج هذا المشهد القاسي المؤلم المؤثر .

استخدام الناظم الفعل المضارع تعبير عن استمرارية الحدث ، كأنه مازال حيا ماثلا أمامه على الرغم من انتهائه إلا أن أثره مازال في النفس باقيا .

لاحظ التعبير بقوله " تنقض " تصويرا استعاريا للصواعق كأنها وحش كاسر ينقض على الفريسة ، وترتب على ذلك أن خرّت الجبال هدّا ونُسفت نسفا .

ناهيك بصورة الأمواج التي تلطم الشواطئ بعنف ، وقسوة ، والحوت المفترس يرتجف خوفا ، وفزعا . حتى خرجت الطيور من أوكارها رعبا تاركة أفراخها يهلكها الجوع فقال مصورا ذلك :

وتخرج من أوكارها الطيرُ رعبةً ..... وأفراخها في العُش بالجوع تتلفُ

ويحتدم صراع قوى الطبيعة عندما يتحطم الجسر ، ويسقط القطار ومن به في قاع النهر، وتكون النهاية الحزينة... مصورا ذلك بقوله :

تلاطمت الأرياح كفا ومعصما ..... وهزّت عماد الجسر والجسر يرجفُ

على الجسر قامت من رياح قيامةٌ... وسيف ملاك الموت في الريح يرهفُ

فيا ويل من سار القطارُ بأهله ..... على جسر " ناي " والرياح تُعنّفُ

تدهور في النهر القطار بمن به..... .... فيا ويلهم من ذا يُعين ويُسعفُ

تنوح على الأطفال أمٌ ووالدٌ ..... فيجري على الخدين دمعٌ مكفكفُ

تسوقُ مياه النهر حتى عظامهم ..... إلى قعر بحرٍ عمقه ليس يُعرفُ

مشهد مكتمل الأركان : نهر وجسر ، وقطار ، وركاب ، و سقوط ، وغرق، ورياح . مأساة إنسانية ، وحادثة مفجعة انتهت بالحديث عن هذا العُرس الدامي الذي تحول إلى مأتم بعد أن قضى الحادث على أحلامهم وأصبحوا طعاما سائغا لأسماك النهر فقال مصورا :

فيا أسفي أين العروس وعُرسها ..... فقد تمّ في اليم الزفاف المكلفُ

ويا ويح عرسٍ طبلهُ الرعدُ في السما .... ومزماره بوق القيامة يعزفُ

وأسماك يمٍ أهل عُرسٍ وزفةٍ ..... وتنين أبحارٍ يصلي ويزففُ

وقد كانت **الأحداث الثقافية** في البلدان التي طاف بها الشاعر محط اهتمامه فرصدها ، ونقلها نقلا أمينا بكل ملابساتها . فيتجول في باريس ، ويُعجب بما يشاهده في معرض باريس ، متحدثا عما وصلت إليه المخترعات والصناعات من تطور ، وتقدم . فقال واصفا ما رأه بعيني رأسه[1]:

أقصُ عليكم فاسمعوا بعض قصّتي ..... واتلو بأشعارٍ تفاصيل رحلتي

رأيتُ عروس الكون باريس قد زهت .... بكل صنوفٍ من نفيسٍ وزينةِ

أتتها من الأقطار أجملِ تُحفةٍ ..... فأضحت جنانا بالمحاسن حُفّتِ

[1] – الديوان ص ١٢١

ومعرضها الباهي تزيّن سوقهُ ..... بأنواع ديباجٍ توشى بصنعةِ

وحجت إليه الناس من كل بقعةٍ ..... فبعض لاتجار وبعضٍ لحرفةِ

وطبيعة موضوع النص فرضت على الشاعر أن يستخدم بعض المفردات الأجنبية مثل " التليفون " " والغرافوفون " و إيديسون " فيقول :

وفيه "التليفون " الذي عمّ نفعهُ ..... وفيه "الغرافوفون " أغرب بدعةِ

.....

وقد قام " ايديسون " يعلن قائلا ..... قسمتُ ضياءَ الكهرباء بفطنتي

ويثني على المعرض وما فيه من معروضات مدهشة :

فيا مُعرضا عني إذا جئت معرضا ... بباريس سل عني وعن قدر شهرتي

أتيت إليه أستمد إفادةً ....وأتلو عليه سورة من قصيدتي

فإني قسٌ إن أردتُ فصاحةً ..... خبيرٌ بوصف الشيئ من غير كلفةِ

سأُبقي لهُ في الشرق ذكرا معطّرا..... ترددهُ الأجيال في كل ندوة

بلغ عدد أبيات المنظومة واحد وثلاثين بيتا ، كل بيت يضم أربع تفعيلات لا تعرف سوى صورة التمام حيث بحر " الطويل " " فعولن _ مفاعيلن " بواقع ثماني تفعيلات في البيت الواحد ، فقد كان الشاعر بحاجة إلى الإطناب في الحديث ، والتطويل فيه حتى يستطيع أن ينقل كل أركان المعرض ، وما حوى من آلات صناعية كثيرة ، ومتنوعة ، مغلفا لوحته بروي " التاء " المكسور ، والتاء حرف مهموس ، شديد ، ومخرجه من

طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ، ومرققة ، وانفجارية [1]، تنوع في صفات الحرف يعكس تنوع الآلات في المعرض ما بين آلات تعزف الموسيقا الهادئة بصوت هامس ، وآلات أخرى قوية شديدة تعمل على الطحن ، والعجن .....

وشكل الحرف بالكسر خضوع الشاعر أمام ما يشاهده ، وتسليمه أمام حركة التطور التي تقفز قفزات هائلة دونما توقف بما يدعو إلى العجب ، والدهشة، مع الحيرة والعجز ، والتسليم بثورة العلم ، والمخترعات الحديثة .

[1] – راجع : مخرج الحروف وصفاتها – أبو الإصبع الإشبيلي ص ١٠

(الخاتمة)

من خلال الرحلة الأدبية في ديوان " شعرالنحلة المنظوم في خلال الرحلة " نستطيع أن ندرك كيف تمكن الأديب من أخذنا إلى داخل تلك الأقطارالتي زارها ، وعاش فيها بكل مفردات حياتها ، فأطلعنا على جزء من مشاكلهم الاجتماعية ، ورسم لنا صورا من مظاهرالطبيعة عندهم ، وبيّن بعضا من جوانب الحياة السياسية عند بعضهم . مستخدما في بيان ذلك قطعا نثرية ، ومنظومات شعرية انتهيت بعد إعمال دراستها وتحليلها إلى النتائج التالية :

١- تحتل القصص الواقعية الاجتماعية في ديوان الأديب مكان الصدارة ؛ لأنها الأقرب لطبيعة الرحالة الذي يعيش داخل تلك المجتمعات بكل مؤثراتها ، ثم القصة السياسية ، ثم الطبيعية ، وأخيرا الثقافية .

٢- يقوم الأديب بدور الراوي المتجانس إذ يصبح بطلا من أبطال قصصه التي يرويها.

٣- استخدم في بعض الأحيان النهايات المفتوحة ؛ ليترك المجال للقارئ أن يُعمل فكره ، ويظل داخل الأجواء النفسية لما يتحدث عنه.

٤- الحوار يكاد يختفي بين السطور في النثر والنظم .

٥- الصور الفنية قليلة في المنثور والمنظوم ؛ فالأديب يريد أن يعطي سلطان العقل نصيبا أكبر من الخيال .

٦- يغطي عنصر السرد على المنثورفي الأعم الأغلب بينما الجانب القصصي – غير المكتمل – يميز المنظوم .

٧- الديوان خير شاهد على حياة المجتمعات الغربية والعربية في تلك الفترة التاريخية التي عاش فيها الأديب .

٨- يتعمد الأديب استخدام ألفاظ يقصدها بعينها تعينه على رسم المشهد ونقل الصورة .

٩- القصص الاجتماعية التي وصفها الأديب تؤدي أهدافا من أهمها أخذ العظة والعبرة .

١٠- يختار الأديب عناوين متنوعة لما يتحدث عنه في ديوانه منها الموضوعي مثل " كرنفال باريس " ومنها التشخيصي مثل " المعايدة السلطانية " ومنها التنويري مثل " الضباب بلندرة "، ومنها العنوان المنبئ بالنهاية مثل "العاصفة القاصفة " واختفى تماما العنوان الإيحائي .

١١- يعتمد الكاتب في استهلال القص على التشويق والمبالغة لجذب عقل القارئ وقلبه والاستحواذ على قدر كبير من انتباهه .

١٢- يعتمد الأسلوب النثري عند الأديب على السرد ، وقد يضاف إليه في بعض الأحيان الاستطراد ، والإطناب ، وفي المنظوم يعتمد على الوصف والقص .

١٣- القصائد والمقطوعات التي كتبها صابنجي في الديوان أقرب للنظم منها إلى الشعر؛ ذلك لأنها تفتقد – في كثير منها – أهم عنصرمن مقومات الشعر وهو الاعتماد على التصوير والخيال الخصب .

١٤- استخدم الأديب الأسلوب الحواري فكان ينوع فيه تارة بين الحوار الخارجي المباشر مثل " دعاء عانس " وبين الحوار الداخلي

المباشر بصورة مونولوج مثل " مونتي كارلو" أو الحوار الداخلي غير المباشر مثل " العاصفة القاصفة "

١٥- استعان الشاعر بالموسيقا العروضية كأداة من أدوات توضيح المعنى ، ووصف المشهد .

وبعد .... فقد آن لي أن أوصي بالآتي :

١- مازالت هناك مخطوطات في المكتبات العالمية تحتاج إلى تحقيق ، وأهيب بوزارة الثقافة ، أن تقوم بجهد استردادها وتحقيقها أو توفر مبعوثين متخصصين لتصويرها حتى يسهل الحصول عليها ودراستها .

٢- تدريس مادة أدب الرحلة في كافة الكليات المتخصصة حتى يأخذ حقه من الدراسة الجادة .

٣- ديوان لويس الصابنجي مازال فيه العديد من الجوانب التي تحتاج إلى الدراسة والبحث ، وتستحق أن تظهر للنور لمناقشتها والوقوف عندها، فهو كنز مكنون ينتظر من يُنقّب عنه .

(فهرست المصادر والمراجع)

- **القرآن الكريم**
- ديوان شعر النحلة المنظوم في خلال الرحلة – لويس الصابنجي – ط- المطبعة التجارية – الإسكندرية – مصر – ١٩٠١
- أدب الرحلة عند العرب – د. حسني حسين ط- دار الأندلس – بيروت – لبنان – ط- ٢ – ١٤٠٣
- أدب الرحلة في التراث العربي – فؤاد قنديل – ط- مكتبة الدار العربية للكتاب –ط- ٢ – ١٤٢٣-٢٠٠٢
- الأدب وفنونه – دراسة ونقد – د. عز الدين اسماعيل –ط- دار الفكر العربي ط- ١٤٢٥- ٢٠٠٤
- الأعلام – خير الدين الزركلي – ط- دار العلم للملايين – بيروت – لبنان
- تاريخ آداب اللغة العربية – جورجي زيدان –ط- دار مكتبة الحياة ١٩٨٣
- تاريخ الأدب العربي – أحمد حسن الزيات – ط- دار نهضة مصر – ط- ٢
- تحفة الزمن بترتيب تراجم أعلام الأدب والفن – أدهم الجندي ط- دار المقتبس –ط١
- دراسات في الشعر العربي المعاصر – د. شوقي ضيف –ط- دار المعارف
- ديوان الشافعي – تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي –ط- مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة –ط- ٢ – ١٤٠٥

- الرحلات – د. شوقي ضيف – ط- دار المعارف ط ٤-
- شرح ديوان أبي تمام – الخطيب التبريزي – قدم له ووضع هوامشه وفهارسه – راجي الأسمر –ط- دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ط٢
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية – د. عز الدين إسماعيل – ط- دار الفكر العربي ط- ٣
- قاموس السرديات – جيرالد برنس – ترجمة السيد إمام –ط- دار ميرت –ط- ٢٠٠٣
- لسان العرب – ابن منظور المصري – ط- دار المعارف – مصر
- لمحات من الشعر القصصي في الأدب العربي – د. نوري حمودي –ط- دار الجاحظ العراق
- مخارج الحروف وصفاتها – أبو الإصبع الإشبيلي – تحقيق – د. محمد يعقوب تركستاني – لا يوجد مكان الطبع – الطبعة الأولى ١٩٨٤
- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢- جمع كامل سلمان جاسم – ط- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ٢٠٠٣
- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين – ط- مؤسسة عبد العزيز البابطين الثقافية ٢٠٢١
- معجم المصطلحات الأدبية – إبراهيم فتحي – ط- التعاضدية العمالية – تونس
- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج – الإمام النووي – ط- مؤسسة الرسالة

(الأبحاث العلمية والمقالات الالكترونية)

- بين القصة الأدبية والقصة الصحفية – إبراهيم الطائي – كلية الآداب الجامعة العراقية – إشراف منذر جاسم
- الشعر القصصي في القصيدة العربية – الزهاوي أنموذجا – إعداد الباحثة شيماء الزبيدي – كلية التربية جامعة بابل العراق
- مقال " الشاعر والناظم " بقلم أد. حامد طاهر – مايو ٢٠١٠
- مقال بقلم أكرم رخشنده – موقع ديوان العرب

(المجلات والدوريات)

- مجلة اللغة العربية – مجلة أدبية قطرية محكمة – العدد الأول يونيو ٢٠٢١
- مجلة سطور عدد مارس ٢٠١٩
- مجلة الخليج – عدد مارس ٢٠٢١
- مجلة السوسنة الأردنية – عدد نوفمبر

(موقع الشبكة العنكبوتية)

- موسوعة ويكبيديا
- موسوعة الفراشة
- موقع مايو كلينك